الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الموضوع:

المولديات في الشعر الجزائري القديم
دراسة فنية جمالية لبُردة إبراهيم
ابن بِحمان الثميني نموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

- بن ذهيبة فتيحة
- خينش سارة

إشراف الأستاذ الدكتور:

يحيى حاج امحمد

الموسم الجامعي: 1440 – 1441هـ / 2019 – 2020م

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تتم به الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ امتثالا لقوله تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ»، صدق الله العظيم.

نشكر الله عز وجل لأنه صاحب المنة أولا وآخرا، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يشكر الله من لا يشكر الناس ».

وتقديرا لمن كان لنا عوناً في هذا العمل نتوجه بجزيل الشكر والثناء والتقدير الوافي إلى الذي صوب أخطاءنا ومن كان مرشدا ونصوحاً، إلى أستاذنا الفاضل الدكتور يحيى بن بهون حاج أمحمد الذي لم يدخر أي جهد في سبيل إكمال هذا البحث فكانت توجيهاته مليئة بالنشاط إضافة إلى ارشاداته القيمة والدقيقة فجزاه الله عنا كل خير.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى من وصانا الله عز وجل بهم في كتابه: « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» .

- ❖ إلى نبع الحنان والعطاء إلى الأم العزيزة.
- ❖ وإلى الشعلة التي أنارت دربي إلى أبي العزيز.
- ❖ وإلى العائلة الكريمة وبالأخص الأخ ذو الأخلاق العالية الطيّب حمود.
- ❖ وإلى أصدقاء المواقف خلال سنين المعرفة.
- ❖ إلى صديقتي المتخلقة والخجولة " بن ذهيبة فتيحة " حفظها الله من كل شر وجزاها الله عني كل خير.

خينش سارة

إهداء

من صميم قلبي وينبوع عواطفي أبعث أجمل الإهداءات إلى من قال فيهم الله تعالى: « فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ».

- إلى من ينفطر قلبها وتتألم لألمنا، إلى نبع الحنان إلى أقرب الناس لنا في الأفراح والأتراح، إلى من عاشت من أجلنا في الدنيا إلى أمي الغالية.
- إلى من علمني السير على مبدأ الأخلاق والعلم وألبسني ثوب الاحترام إليك يا منبع الحياة والعطاء والدي الحبيب.
- وإلى أفراد عائلتي كل واحد باسمه وبالأخص أخي الغالي – رشيد–.
- وإلى صديقتي المفضلة – خينش سارة – حفظها الله ورعاها.
- وإلى من ضاقت السطور لذكرهم فوسعهم قلبي؛ صديقاتي وكل من يعرفني.

إلى كل هؤلاء أهدي عملي.

بن ذهيبة فتيحة

مقدمة:

إن الشعر الجزائري القديم يعتبر من المشاريع الجديدة التي قامت الدراسات والبحوث حوله، وقد كان الشعر من سمات الثقافة الحمادية فقد اهتموا بالشعر والشعراء وقاموا بمنافسة نظرائهم في المشرق والمغرب طوال مدة حضارتهم التي عمّرت قرنا ونصف القرن.

كان الشعر الجزائري القديم مزدهرا في دولة بني حماد أو بالأحرى تعيد ابعده الفترة وقد اكتسى ظواهر فنية مختلفة من المدح والثناء والدعاء.

وقد أخذ موضوع الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي عرف باسم المولديات – وهي من فنون الشعر التي أذاعها التصوف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع– حيزا كبيرا في دراسات الشعراء الجزائريين وتعتبر المولديات موضوعاً كبيراً وواسعاً، وقد تطرقنا في ذلك مراعاة للدّقة والوضوح إلى دراسة بردة إبراهيم بن بحمان التميني في مدح خير البرية عليه الصلاة والسلام وتطرق موضوعنا إلى الإشكالية التالية:

- كيف كانت المولديات في الشعر الجزائري القديم؟
- ماهي تجلياتها وخصائصها الفنية؟
- ماهي إسهامات شعراء الجزائر في التأليف فيها؟
- ما هي خصائصها الفنية والجمالية مثال بُردة إبراهيم بن بحمان التميني نموذجا؟

انقسم بحثنا إلى فصلين:

فحمل الفصل الأول عنوان " نبذة عن الشعر الجزائري القديم وأهم أغراضه، فن المولديات في الشعر الجزائري القديم وكذلك تعريف بالشاعر إبراهيم بن بحمان التميني وتجربته الشعرية في فن المولديات.

أما في الفصل الثاني: فقمنا بدراسة التجربة الشعرية عند إبراهيم بن بحمان التميني في مدح الرسول تحت ثلاثة عناوين:

– أولها مضمون القصيدة: قمنا بتقسيم البردة ودراستها وذلك بدراسة كل جزء منها.

– ثانيا الجمالية الفنية للقصيدة: قمنا باستخراج الصور الشعرية من استعارات وتشبيهات إضافة إلى محسنات البديعية من طباق بنوعيه الإيجاب والسلب والجناس، وكذلك أيضا قمنا بدراسة بعض أبيات القصيدة من ناحية الوزن حيث كانت القصيدة من بحر البسيط رغم وجود بعض التغيرات التي تطرأ على تفصيلاتها وهذا ما يضفي عليها شيئاً من التنوع ولا يخل بالموسيقى.

– ثالثا قمنا بدراسة التناص بين بردة البوصيري و بردة ابن بحمان التميني مع استخراج الأبيات المتشابهة بينهما.

واعتمدنا بعض المراجع الأساسية التي ساعدتنا على إنجاز هذا العمل، نذكر منها: تاريخ الأدب الجزائري لمحمد الطّمار، المولديات في الأدب الجزائري القديم لأحمد موساوي، وتاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.

وأما عن الصعوبات التي واجهتنا نذكر منها انتشار فيروس كوفيد19 وتفشيه مما صَعُب علينا التنقل للمكتبات وغيرها، إضافة إلى الحجر الصحي الذي بدوره أيضا يمثل عائقا بالنسبة لنا، وكل هذا مع قلة المصادر والمراجع التي تناولت الأدب الجزائري القديم عامة ومولدية ابن بحمان خاصة وهذا لقلة الأبحاث فيها، مع عدم ايجاد المرجع المعنون بـ: رحلة المصمعي.

أما عن المنهج المتبع في بحثنا هذا فهو تحليلي حيث قمنا بتحليل القصيدة ودراستها وهذا ما أجبرنا في استخدام المنهج الفني الذي يقف عند الظواهر ذات الدلالات الشعورية والنفسية، ويكشف عن القيمة الفنية والجمالية في بردة الشاعر إبراهيم بن بحمان.

ويجدر الإشارة إلى أن هذه المذكرة قد قمنا بها جميعا دون تخصيص أي جزء لكل طالب.

لتكون الخاتمة جامعة ملخصة لمحتوى هذا العمل، وشاملة لجميع الفصول التي تناولت هذا البحث.

وفي الأخير كانت هذه أهم العناصر التي تطرقنا إليها في عملنا هذا بعون الله تعالى، ونتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان للدكتور يحيى حاج امحمد الذي قَبِل أن يشرف على هذا العمل المتواضع، ليكون رمزا يمثلنا، يحمل في طياته رسالة للباحثين في هذا الموضوع.

وأولا وأخيرا كل هذا بفضل الله تعالى وعونه لنا.

غرداية في:.....

– الطّالبة: فتيحة بن ذهبية.

– الطّالبة: سارة خينش.

مدخل:

- **مفهوم مصطلح المولدية والمولديات**
- **المدائح النبوية ونشأتها**
- **المديح قبل وأثناء وبعد الدعوة المحمدية**
- **حركة الشعر الجزائري من 1500 إلى 1830**

– إن معالجة ظاهرة أدبية كالمولديات تتطلب من الباحث الوقوف مليا والاطلاع على نشأتها، حيث يمكن حصر مفهوم المولديات في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام والتغني بصفاته وخصاله، حيث برع في هذا المجال كثير من الشعراء، عرفت المولديات تطورا كان هذا وفق فترات بالنسبة للدعوة المحمدية، فالمديح قبل الدعوة يختلف عن بعدها لكن يبقى كل هذا يصب في معنى واحد وهو مدح الرسول صل الله عليه و سلم.

1. مفهوم مصطلح المولدية:

يرتبط مصطلح المولديات بكلمة المولد، فمولد الرجل وقت ولادته و مولده: الوضع الذي ولد فيه، وميلاد الرجل: اسم الوقت الذي ولد فيه، ولذلك أطلق على هذا النوع من المديح النبوي، المولديات لأنها تغني بيوم مولد النبي صل الله عليه و سلم، ولذلك فإن المولدية تستمد تسميتها من ذكرى مولد النبي و التي من أجلها نظمت أبياتها.[1]

أما المولديات فهي نسبة إلى مولد الرسول صل الله عليه وسلم والذي يعد حدثا بارزاً في الإسلام، تغنى به الشعراء، فهو باب من أبواب المديح الواسعة، لأن المولديات تختلف على المديح النبوي اختلافاً ظاهراً، فالمديح لا يختص بزمان محدد وإنما هو دائم طوال العام لكن المولديات محددّة بزمن أي بوقت مولد الرسول صل الله عليه وسلم في ربيع الأول من كل عام[2]

[1] - ينظر جميلة معتوق، المولديات النبوية في المديح النبوي الجزائري القديم و سماتها الفنية، مجلة رفوف،مجلد 6،ع 1

[2] -ينظر أسماء خداوي، البنى الأسلوبية في مولديات أبي حمو موسى الثاني، مذكرة ماجستير الأدب الجزائري. جامعة وهران-1- 2015م-2016م ،ص 46

2. المدائح النبوية ونشأتها:

يعود ظهور المدائح النبوية إلى بداية بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد جرت عادة الشعراء في المديح أن يتوجهوا بمدحهم إلى الشخصيات البارزة في المجتمع، ومع بعثته عليه الصلاة والسلام انقسم الناس في رسالته إلى قسمين: مؤيد ومعارض وذهب المعارضون إلى ذم رسالته خاتم الأنبياء وتحذير الناس من دعوته، ونعتوها بأسوأ الأوصاف أما المؤيدون لرسالته فقد دافعوا عنها وحملوا دعوته إلى الأنحاء والأمصار، وبما أن العادة قد جرت في الشعراء أن يُتوّجوا الشخصيات البارزة بمدحهم، فقد وجدوا في الرسول عليه الصلاة والسلام أروع نموذج للشخصية المثالية.[1]

ومنها ظهرت المولديات التي تعتبر شعر للمدائح النبوية، حيث أخلاق وصفات الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كانت دافعا أساسيا لمدحه وبيان مكارم أخلاقه وكان هذا هو بداية ظهور المولديات.

3. أ- المديح قبل الدعوة المحمدية:

لقد ظهر شعر المديح المحمدي قبل الهجرة و بعيداً عن التطور الإسلامي، فقد كان الشعراء آنذاك يمدحون الرسول عليه الصلاة والسلام لشيمه و خصاله و نستدل على ذلك بأبيات من قصيدة مثال عن ذلك:

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم المسهدَا

ألا أي هذا السائلي أين يممت فإن لها في أهل يثرب موعدَا

فأليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدَا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تريحي و تلقي من فواضله يدَا

نبيا يرى ما لا ترون و ذكره أغار لعمري في البلاد و أنجدَا[2]

[1] - رحمة بنت أحمد الحاج عثمان، وعبد الحليم سامي، مظاهر التأثر والتأثير في شعر المدائح النبوية، حولية الجامعة الإسلامية العالمية.

[2] - أحمد موساوي، المولديات في الأدب الجزائري القديم، عهد تلمسان الزيانية، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 41.

وتعتبر هذه الأبيات وغيرها مرتبطة بالمديح المحمدي وهذا ما يؤكد أخلاق سيدنا عليه الصلاة والسلام وخصاله الحميدة التي أدت بدورها ودفعت الشعراء لمدحه صل الله عليه وسلم.[1]

فالرسول عليه الصلاة والسلام كان شخصية مثالية وبارزة لصدقه وأمانته فأخذ الشعراء نموذجا مثاليا في قصائدهم.

ومن شعر أبي طالب كرم الله وجهه ما يعد من ارهاصات المديح النبوي و فيها يذكر الشاعر ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من عنت وتكذيب من سائر بطون قريش وفي وسط القصيدة البيت المشهور في مدح الرسول صل الله عليه وسلم وهذا الذي يعده بعض الرواة مطلعها:

وأبيضَ يُستسقى الغَمَام بوجهه ثِمالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامل

ومنها في مدح الرسول أيضا، وهي ختام القصيدة:

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها ليس عنه بغافل
والله لولا أن أجيء بسبة تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل[2]

3. ب- المديح أثناء الدعوة المحمدية:

الشعراء كالعادة يمدحون الشخصيات البارزة في عصرهم فما بالك بالرسول عليه الصلاة والسلام صاحب الدعوة الإسلامية هادياً ونذيراً فإنهم لا شك مبدعون في مدحه ومتميزون فيه

وبعد الشاعر حسان بن ثابت أحد رواده فهو معاصر للرسول صل الله عليه وسلم ومساهم في مدحه فهذه الأشعار التي اتصفت بصفتين أساسيتين: الأولى أنها كانت كالنيل على الأعداء والمعارضين للدعوة المحمدية أو كالجمرات والثانية كانت عن محطات مضيئة أنارت الدرب

[1] - أحمد موساوي،المرجع السابق،ص 42
[2] - د،محمود علي مكي،المدائح النبوية، الشركة المصرية للنشر،ط1،1991،ص20،21

وفتحت الطريق لباقي الشعراء لمدح خاتم الأنبياء والرسول والتي من خلالها يعبرون عن حبهم للنبي المعظم والتباهي بأخلاقه وصفاته [1]

وعند اطلاعنا على أشعار حسان بن ثابت وغيره من الشعراء الذين اتبعوا منهجه الذي هو مدح منارة من منارات الدين الاسلامي القويم وكانت كلماته مستوحاة ونابعة من القرآن الكريم والسنة والشريعة ،وفيه يقول:

شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نجيب ولا نشاء

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء

بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

هجوت مبركا برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء؟

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء[2]

فهذه الأبيات تحمل في طياتها الكثير من القيم الإسلامية ومدحا للرسول عليه الصلاة والسلام وذكر خصاله مع هجاء أعداء الاسلام ومثال ذلك ذكر أبي سفيان كما تبين لنا الفترة التي ظهر فيها نوع آخر من الشعر إذ يمتزج الهجاء ويتداخل مع المديح.

وتذكر كذلك أبيات من قصيدة كعب بن زهير التي أيضا تناولت مدح الرسول عليه الصلاة والسلام.

[1] - ينظر: أحمد موساوي، المولديات في الأدب الجزائري القديم، عهد تلمسان الزيانية، موفم للنشر، الجزائر 2008 ،ص45.
[2] - محمود علي مكي، المدائح النبوية، الشركة المصرية للنشر، ط 1،1991 ، ص 24.

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ و تفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عني الأقاويل [1]

وهنا نستنتج أن المولديات أخذت تطورا وتميزا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان صاحب الدعوة هاديا و نذيرا.

3.ج_المديح بعد الدعوة الإسلامية:

تعتبر النصوص المنتجة في تلك الفترة مصدرا أدبيا في صور مختلفة. أنتج شعراء الشيعة مدائح نبوية كشفت عن الارتباط المتين بالنبي و نموذج عميق للقيم الجديدة، وعلى رأس هؤلاء الشعراء الكميت الأسدي صاحب الهاشميات ومنها قوله:

فاعتتب الشوق من فؤادي والشـ ـعر إلى من إليه مغتتب

إلى السراج المنير أحمد لا تعدلني رغبه ولا رهب

عنه إلى غيره ولو رفع الناس إلى العيون وارتقبوا

إليك يا خير من تضمنت الـ أرض ولو عاب قولي العيب

لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج و اللجب [2]

وقد ظهرت قصيدة الشقراطيسية لصاحبها ابن عبدالله الشقراطيسي التي أيضا كانت تمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ولقد كانت مختلفة عن باقي المدائح المرتبطة بآل البيت وذكر أفضليتهم بل اجتنبت هذا كثيرا فقد احتوت على سيرة الرسول الكريم من ولادته إلى وفاته وسرد معجزاته.[3]

[1] أحمد موساوي، المولديات في الأدب الجزائري القديم، عهد تلمسان الزيانية ، موفم للنشر، الجزائر 2008 ، ص47 .
[2] ينظر ، أحمد موساوي ، مرجع سابق ، ص 51 .
[3] المرجع نفسه ، ص 54 .

ونجد إلى جانب شعراء الشيعة السيد الحميري يقول:

غرست نخيل من سلالة ادم شرفا فطاب بفخر طيب المولد

زيتونة طلعت فلا شرقية تلفى ولا غربية في المحتد

مازال يشرق نورها من زيتها فوق السهول و فوق صم الجلمد

وسراجها الوهاج أحمد والذي يهدي إلى نهج الطريق الأزهد

وإذا وصلت بحبل ال محمد حبل المودة منك فأبلغ وازدد

بمطهر لمطهرين أبوة نالوا العلا ومكارما لم تنفـد [1]

_ وما نلاحظه في هذه الأبيات وغيرها أثر جلي للشعراء في إثراء وإغناء المولديات التي كانت بواسطة التركيز وذكرهم لصفاته عليه الصلاة والسلام من أخلاقه ومكارمه وكانت هذه الأخيرة محور قصائدهم.

4.حركة الشعر الديني الجزائري بين 1500 و 1830:

قد عرف الشعر الجزائري تطورا خلال فترات من الزمن وعرف حركة في ازدهاره وهذه الفترة (1500م _1830) أيضا تحوي الحقبة الزمنية التي برع فيها الشاعر إبراهيم بن بحمان وهذا ما جعلنا نتطرف اليها.

جاءت هذه الدراسة في الجزء الثاني من موسوعة سعد الله (تاريخ الجزائر الثقافي في حدود ثمان و سبعين صفحة وهي دراسة نقدية تاريخية مستفيضة لحالة الشعراء الجزائريين وأغراض شعرهم و بواعثه ،حيث كان الشعر مزدهرا من حيث الكم على الأقل كما كانت أغراضه متعددة إلا أن هذه الفترة قد تميزت بضياع دواوين وقصائد لكثير من الشعراء الجزائريين.

[1]- محمود علي مكي ، المدائح النبوية ، الشركة المصرية للنشر ، ط 1 ، 1991 ، ص 82 .

_ استهل سعد الله دراسته بالإقرار بأن الكثير من الشعر الجزائري في هذه الفترة ضاع و لا نعرف أين هي نصوصه بالرغم من وجود أخبار عن الشعراء كالمنداسي وسليمان بن علي التلمساني وابن عمار المنجلاني .[1]

[1] حفيظة زين، النقد الأدبي عند أبي القاسم سعد الله من خلال موسوعة "تاريخ الجزائر الثقافي" ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع 44 ديسمبر 2015 ، مجلد ب ، ص 426 ، ص 427.

الفصل الأول:

I. نبذة عن الشعر الجزائري القديم:

لم ينل الأدب الجزائري سواءً كان شعرا أو نثرا حظا أوفر من الدراسة مقارنة مع الأدب والشعر الخاص بالمشرق العربي وهذا لأنه لم يلق اهتماما بالأدباء الجزائريين وهذا ما جعلنا نتطرق لهذا الموضوع مع معرفتنا بأننا سنواجه صعوبات من شح المصادر لأن الدراسات لم تكن متوفرة.

« ولو أنصفنا الشعر الجزائري القديم لما التمسنا منه، وهو الذي كان ناشئا يحبو، ومتحفزا يدرج، أن يكون أكثر مما كان، بل إننا لنعجب _وبكل صدق وإعجاب_ كيف استطاع ذلك الشعر أن يطوي الزمن طيّا وينهب المراحل الطويلة ليكون في ذلك المستوى الرفيع من التشكيل النسيجي البديع وإن الذي يتابع شعر بكر بن حمّاد، ويتأمل القصائد الأولى أو ما بقي منها من مقطعّات والتي قالها في بغداد ليعجب أشد العجب كيف استطاع هذا الشاعر الزّناتيّ النازح من أقصى بلاد المغرب أن يقول شعراً في مستوى فحول شعراء المغرب»[1]

وقد كان موضوع الشعر الجزائري حلقة مهمة في الأدب الجزائري واختلفت مواضيعه وتنوعت «وواضح أن بكر بن حمّاد هو الذي يمثل الأديب الجزائري الأول بحق طوال عمر الرستميين بحكم أنه أكثر الشعراء الذين يعترون هذا العهد شعرا وأجملهم نسجاً واصفهم مكانه بالشعر ويعني ذلك أنه كان أسعدهم حظا وأوفرهم جدا، حيث احتفظت لنا كتب الأدب والتاريخ والتراجم بجملة بمقطوعاته جاوزت عشرين ومائة بيت، وإلا فمن الممكن افتراضا أن يكون للشعراء الآخرين أشعارا ولكنها ضاعت في عهود المحن والفتن المتلاحقة والخطوب المدلهمة التي لم تفتأ تضرب الشعب الجزائري»[2]

وقد تعددت الألفاظ التي استعملها الشاعر الجزائري القديم في معجمه ونذكر منها:

أ- **الألفاظ الدينية:** استخدم جل الشعراء كلمات دينية: الله، والجنّة، والمؤمنون، والقسم بأنواعه، والنبي، والفردوس، والإمام... وهي كثيرة الحضور في القصائد يغمرها جو ديني مكتمل أوحت به الألفاظ الدينية والعبارات الزهدية.

---

[1] – عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، مطبعة هومة، بوزريعة، الجزائر ص59

[2] - عبد المالك مرتاض نفسه، ص60.

ب- **الألفاظ السياسية:** لأن المراثي قد شملت القادة والشخصيات السياسية والمدن فالدارس لا يعدم إشارات سياسية كقول " ابن هانئ الأندلسي" و قد ذكر الدولة:

دولة سعد وفحل منجب وشباب مثل تفويف البرد

أو قول: "ابن رشيق المسيلي" في رثاء "المعز بن باديس" حيث ذكر المملكة والملك:

كل حي وإن طال المدى هلك لا عز مملكة يبقى ولا مَلِك

ج- **الألفاظ الطبيعية:** الشعر الجزائري القديم لم يكن بدعا من بين أشعار العرب، فقد نما وازدهر منذ طفولته في أحضان الطبيعة وكان صدى عميقا لهذه البيئة، فقاموس الشاعر اللغوي كان حافلا بالألفاظ البيئة : فابن رشيق المسيلي يستحضر البدر والهلال والبحر والساقية في قوله:

ذهب الحمام ببدر ثم لم يدع منه التقى إلا هلال محاف

وحون جنوب اللحد بحرا زاخرا ترك البحار الخضر وهي سواقي

و مما سبق نستنتج أن:

1/- قاموس الشاعر الجزائري القديم كان حافلا بالألفاظ الطبيعية المستمدة من البيئة.

2/-هناك تفاوت في استعمال المعجم الطبيعي من شاعر لآخر ومن قصيدة لأخرى، وعلى العموم فقد كان الشاعر الجزائري ابن بيئته استمد منها ألفاظه وصوره.

د- **الألفاظ الجاهلية:** تناول الشعراء الجاهليون ألفاظا كانت تناسب بيئتهم وزمنهم، وقد استمر استعمالها لدى بعض شعراء الجزائر في قصائد الرثاء محل دراستنا، كسقيا القبر التي يوردها "بكر بن حماد" في قوله:

فلا عفا الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطانا

وإجمالا تناقلت الأجيال كثيرا من الألفاظ الجاهلية، ووظفتها في إبداعها الشعري والنثري[1] .

[1] - يعلاوي محمد،.قصائد الرثاء في الشعر الجزائري القديم،.مجلة الثقافة، العدد 19 ديسمبر 2013.ص 203-204

أغراض الشعر الجزائري القديم:

*- يعد الشعر الجزائري امتداداً للشعر العربي القديم وهو ما جعله يعرف الأغراض نفسها وبدورها متداولة لدى شعراء العرب مشرقا ومغربا، كالهجاء والغزل والرثاء والوصف والمدح، وما تلى ذلك من زهد وتصرف ومولديات .

1/- الهجاء:

الهجاء من أغراض الشعر الجزائري فقد كان متناولا لدى الشعراء منذ القدم في الشعر العربي وكان أصله لعنات يصبها الشاعر على القبيلة المعادية لكي ينقص من قيمتهم راجياً أن تنزل بهم المقادير هزائم متوالية، وتحول فمرور الزمن هذه اللعنات الى ذم شديد على لسان الشاعر الجاهلي.

وفي العصر الأموي كان بمثابة المنافسة بين الشعراء على لسان الفرزدق وحرير والأخطل أي ما يشبه مناظرة حادة في بيان فضائل ومساوئ عشيرتها وقبيلة تميم التي كان يدافع عنها الفرزدق وقيس التي كان يدافع عنها جرير.

وانتقل من المغرب الى بغداد الشاعر الجزائري بكر بن حماد التاهرتي وهو أول شاعر جزائري له أهاج مختلفة وكان يعاصره ابن خزار التاهرتي في القرن الثالث الهجري.[1]

- ومما وصل إلينا من هجاء ابن رشيق قوله:

يا موجعي شتما على أنه لوفرك البرغوث ما أوجعا

كل له من نفسه آفة وآفة النحلة أن تلسعا[2]

فشتان بين هذا الهجاء ووهجاء جرير وبشار وابن الرومي الفاحش المقذع، يرى ابن رشيق أن (العفو من القادر أحسن).

[1] شوقي ضيف- تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات- ط1- دار المعارف1119- كورنيش النيل القاهرة – ص 156 .
[2] محمد طمار- تاريخ الأدب الجزائري –(د.ط) . الجزائر العاصمة الثقافة العربية – 2007- ص 59.

2/- الغزل:

الغزل من أهم موضوعات الشعر القديم، وقد نظمه الشعراء في جميع العصور والأقاليم، مصورين فيه عاطفة الحب الإنساني، وما تثير فيهم من المشاعر والخواطر والشاعر تارة سعيد بحبه في وصاله ووداعه، وتارة شقي محروم يتضرع ويستعطف ويتمنى ولو نظرة من بعيد.

وقلما لا يقع شاعر بالحب، فالشعراء جميعا يتغنون به حتى الفقهاء ومثلهم العلماء من كل صنف، ولكل وطن عربي مجلداته إذ نجده على ألسنة كثيرين من الشعراء والأدباء والعلماء معبّرين فيه عن لحظاتهم الهنيئة من لقاءات صواحبهم ولحظاتهم المرة هجرهن وانصرافهن عنهم بدون وداع أو ما يشابه الوداع.[1]

- ومما وصل إلينا من الشعراء الجزائريين نجد : محمد بن عبد الرحمن العوضي الذي نشأ في تلمسان ونال من الأصول قسطا وافرا ، وتعاطى الأدب فأصبح شاعرا لا يستهان به في العقائد شرحه الإمام السنوسي . ومن شعره القصيدة الطنانة التي يقول فيها متغزلا :

أرذاذ المزن من عين نزل أم دموع الشوق إن رق الغزل

أبعيني ديمـــة وكـــافة أم شعيب للنوى منها انبزل

لا بكت عيني ولا أبقى البكا ضوءها عن فعلها إن لم تزل

دع عذولي اللوم إني شائق رق طبعي دون صنعي في الأزل

أوينسى العهد قلب دنف والهوى قبل النوى عنه نزل

لا تلمني دون علم عاذلي فبسمعي صمم عمن عذل

إن نار هواكم جنتي لو علمت الحبل منكم يتصل

أمنوا روعة قلبي باللقا فانتظار الوعد وصل قرب إن حصل[2]

[1] ينظر. شوقي ضيف - تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات- ط1- دار المعارف1119- كورنيش النيل القاهرة – ص434

[2] محمد طمار- تاريخ الأدب الجزائري –(د.ط) . الجزائر العاصمة الثقافة العربية – 2007- ص 233.232

ولعل ما وصل إلينا من الشاعر الجزائري بكر بن حماد من أجمل وأرق من الشعر الغزلي الرقيق عرضا، وذلك يتضح قوله في مطلع مقطوعة اعتذارية وهي :

ومؤنسة لي بالعراق تركتها وغصن شبابي في الغصون نضير

فقالت: كما قال النواسي قبلها: عسير علينا أن نراك تسير

2/- **الرثاء:**

يعد الرثاء من أغراض الشعر العربي يحمل في طياته معاني التعبير عن الأحزان والآلام والفقدان، إذا جاء عند اللغويين القدامى: رثى فلان فلاناً، يرثيه رثياً ومرثية، أي: يبكيه ويمدحه، والمترثي: المتوجع والمفجوع ، كما اشتهرت الخنساء به في بكاء أخيها صخر ومعاوية، ومن أقوالها :

كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض على الخدين مدرار[1]

- فإذا كانت الحياة رابطة قوية بين الشعراء فإن الموت أيضا كان يقوي تلك الرابطة بل يكشف عن أصالتها و زيفها.[2]
- فالشاعر إما أن يتفجع على الميت ويبكيه ويتوجع لفقدانه ويسمى ذلك ندبا، وإما أن يحكي فيه خلاله ومناقبة التي حرم منها المجتمع ويسمى ذلك تأبيناً، وإما أن يفضي إلى ذكر الموت وأنه حوض لابد للحي من وروده، ويسمى ذلك عزاء، وقد يمزج بين الثلاثة.

ويلقانا الرثاء مبكرا في الشعر الجزائري على لسان بكر بن حماد شاعر تاهرت في القرن الثالث الهجري وقد كان قد مات له ابن فندبه طويلا يمثل قوله يخاطب نفسه وقد وقف على قبره:

قف بالقبور فناد الهامدين بها من أعظم بليت فيها وأجساد

قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصال وصاروا تحت أطواد

اين البقاء وهذا الموت يطلبنا هيهات هيهات يا بكر بن حماد

بينا نرى المرء في لهو وفي لعب حتى تراه على نعش وأعواد[3]

[1] ينظر: سعاد ترشاق – محاضرات في النص الأدبي القديم -2016-2017-جامعة محمد لمين دباغين "سطيف، – ص 16.
[2] ينظر: أبو القاسم سعد الله-تاريخ الجزائر الثقافي –دار العرب الاسلامي –ط1-ج2-1500-1830-ص 278.
[3] شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي –عصر الدول و الإمارات –ط1- دار المعارف 1119 كورنيش النيل –القاهرة ص 191.

الوصف:

يعتبر الوصف من الأغراض الأكثر تناولا لدى الشعراء منذ القدم إلى وقتنا هذا وهو من الأغراض التي تصف المكان والزمان وحالة الناس المادية والمعنوية « إن الوصف من الخصائص الجمالية التي لا مناص من كينونتها في أي أدب رفيع وكأن خاصية الوصف ملازمة للأدب شعره ونثره وخصوصا في مراحل النشأة الأولى لأي أدب كبير »[1]، فالوصف هو انعكاس لشخصية الشاعر في شعره بحيث يبرز ذلك في كتاباته ويكون ذلك تعبير عن ما بداخله « وإذن فكل شاعر واصف وكل واصف شاعر فلا عجب أن نلغي الشعراء الجزائريين في ذلك العهد المبكر من حياة الأدب الجزائري، يعمدون إلى هذا الوصف ويحاولون التفشي فيه رغبة في التفوق و حرصا على التفرد وليس عجبا أن تصلنا متقطعات مختلفة يصف فيها أصحابها أمكنة أو أحوالا أو أشخاصا أو زمنا»[2]

ويعتبر بكر بن حمّاد من الشعراء الجزائريين الذين نبغوا في الشعر و كان له كتابات كبيرة في المدح والزهد والوصف، وكان وصفه لبرد مسقط رأسه تيهرت من أجمل الأوصاف:

ما أخشن البرد وريعانه وأطراف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنما تنشر من تخت

نحن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على السمت

نفرح بالشمس إذ ما تبدت كفرحة الذمي بالسبت[3]

تنوعت الأوصاف من شاعر لآخر فهذا يصف الأماكن وهذا يصف الأجواء وكل منه له أسلوبه الخاص ومرجعيته التاريخية.

المدح:

اهتم الشعراء العرب القدامى بهذا الغرض من الشعر فكاد أن يكون لزاما عليهم، فجل قصائدهم كانت حول المدح، فإذا ألقينا النظر إلى أشعر الشعراء نجد شعره حول مدح الخلفاء والأمراء والأشراف أو قل ببساطة: مدح الأغنياء، إما طمعا في بعض أموالهم قصد

[1] - ينظر عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، مطبعة هومة بوزريعة الجزائر ص 61

[2] - ينظر المرجع السابق ص 62.

[3] - محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 2007 ص34.

التكسب وهو الأظهر في الأطوار، وإما إعجابهم بشهامتهم وأخلاقهم أو كرامتهم ومآثرهم وهو أقل الأحوال، وهذا ما نجده عند الحمداني الذي مدح وتغنى بغيره، ولكن لغير طمع.[1]

ونذكر على سبيل المثال من الشعراء الجزائريين الذين كتبوا في المدح الشاعر الجزائري أبو عبدالله محمد بن يحي بن عبد السلام قصيدة مطولة منها هذه الأبيات ثم عن يد طولى في المدح:

شمس السعادة لا سنى النبراس حلت بأفق على بن سيد الناس

وبطائر اليمن ارتقت لسمائه يختال بين كواكب أفراس

من معشر بذل النوال شعارهم وهم الأسود لدى احتدام الناس

يذكون نيران الوغى بأسنة ولدى القرى يذكون بالأقباس

حب القلوب نثارة وكباؤه نسمات جودك لا نسيم الأس [2]

فهذا العباسي المغربي يمدح شيخ عيسى الثعالبي طيبة اللفظ والمعنى مطالعها:

إذا غالبتك النائبات فغالب بفخر فحول العلم عيسى الثعالبي

فيرد عليه الثعالبي بقصيدة من بحرها وقافيتها ولكن أقل منها حجما جاء فيها:

حيا بابنة الفخر العلى والمناقب فريدة فرد في امتطاء المناصب

أتت تتهادى في مروط ملاحة تتجررها تيها على كل كاعب

وتأنف اذا كانت يتيمة دهرها جمالا بديعا عن إجابة خاطب[3]

الزهد:

الزهد هو الورع وتطهير العقل من الأوهام وهو مبدأ أصيل في الإسلام ويعني عدم التعلق بالدنيا، «الزهد قديم في الأمة منذ العصر الإسلامي وزاهد الأمة الأولى محمد عليه الصلاة والسلام وكان الكثير في أيامه يتأسون بزهده وتقشفه ويفرد الجاحظ للزهاد صحف كثيرة في البيان والتبيين حتى عصره ويتوالى من بعده في الكتابة عنهم ويلقانا منهم في المغرب كثيرون في كتاب رياض النفوس المالكي، يقبلون على ما عند الله من ثواب الآخرة ويرفضون الدنيا، ودائما يذكرون الموت وأنه مقبل»[4].

[1] - ينظر عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) دار هومة (ن ط)ص64

[2] - محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري(د.ط) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 2007 ص73

[3] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي.ط1.دار المعارف1119.كورنيش النيل.القاهرةص271

[4] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف1119 كورنيش القاهرة ج.م.ع .(ط1) ص189

وقد كان الزهد منتشرا في الجزائر وفي أشعارهم نذكر منهم على سبيل المثال بكر بن حمّاد «لقد عرف بكر بن حمّاد بشاعر الزهد حتى إننا لا نغالي إن أطلقنا عليه أبا عتاهية الجزائر إذ لا نعرف شاعراً أبدع في هذا النوع الأدبي في بلاد المغرب كلها.على عهده على أقل مثل براعته هو»[1] ولقد كانت له أشعار جميلة ومتقنة في شعر الزهد تشهد له بالبراعة في هذا النوع:

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها

فيا أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يزال يسوقها

إلي مشهد لابد لي من شهوده ومن جزع الموت سوف أذوقها

ستأكلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عنها طيبها وخلوقها

سحاب المنايا كل يوم يظله فقد هطلت حولي ولاح بروقها[2]

التصوف:

تعني كلمة التصوف الحب الإلهي أي حب الله والتخلي عن كل مباهج الحياة والإقبال على الطاعات وترك المعاصي، وقد « ظهرت فرقة الصوفية في البلاد الإسلامية حوالي القرن الثاني للهجرة في عهد العباسيين واختلف الباحثون في اشتقاق كلمة التصوف وذهبوا في ذلك مذاهب شتى فالكلمة لا أصل لها في العربية ولم يحدثنا التاريخ عن طائفة من العباد تسمت بهذا الاسم في الجاهلية»[3].

فالتصوف هو تزكية الروح من الذنوب وكل ما يدنسها كما قال بشر بن الحارث « التصوف من صفا قلبه لله» وقد اتبع نهج الصوفية الكثير من الناس واقتدوا بأخلاق الرسول الحميدة وساروا على نهجه الطاهر وأخلصوا النية في عبادة الله عز وجل، « ومن مشاهير الصوفية الذين عرفتهم الجزائر أبو مدين شعيب الحسني الأشبيلي قرأ بالأندلس وبفاس وأخذ التصوف عن ابن يعزى وتعرف في عرفه بالشيخ عبد القادر الجيلاني الفارسي وأخذ عنه واستوطن بجاية يقرئ رسالة القشري وغيرها وكثر أتباعه»[4]

شعيب أبي مدين:

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا مزمارنا التسبيح والأذكار

[1] - عبد المالك مرتاض. الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) دار هومة (د.ط) ص65

[2] - محمد الطمّار.تاريخ الأدب الجزائري(د.ط) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 2007 ص 35

[3] - ينظر المرجع نفسه ص 143

[4] - ينظر محمد الطمّار .تاريخ الأدب الجزائري(د.ط) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 2007 ص 145

وشرابنا من لطفه وعناؤنا نعم الحبيب الواحد القهار

والعود عادات الجميل وكأسنا كأس الكياسة والعقار وقار

فتألفوا و تطيبوا واستغنموا قبل الممات فدهركم غدّار[1]

وقد سار المتصوفة على نهج الله ورسوله وتسابقوا على الآخرة بعمل الخير إرضاءً لله عز وجل القائل في محكم تنزيله العزيز: « إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون»"[2]

المديح:

يعد المديح من أهم مواضيع الشعر العربي القديم التي تناولت الخصال الحميدة والصادقة من القلب دون تكسب أو طمع، وهو أحد أغراض التصوف والفعال المحمدية وقد سجل التاريخ عددا كبيرا، ومن هذا النوع من الشعر تولدت فكرة المولديات، والذي يرجع نشاطه في الحقيقة إلى ظهور التصوف في بلادنا، فإن كان الزهد قد دخل إلى الجزائر مع بكر بن حمّاد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ظهر منذ فجر الإسلام.

فقد مدح كعب بن زهير محمد صلى الله عليه وسلم بقصيدته اللامية، ومدحه حسّان ليدافع عنه ضد المشركين[3] في هذه وتلك قصائد طوال.

ظهرت المدائح ثم المولديات التي سنها ينو زيان في تلمسان فقيلت في هذه وتلك قصائد طوال.

ففي القرن السابع عشر ظهر شاعر في الجزائر العاصمة يسمى أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر العطار، برع في ميدان المدائح جمعها في كتابه « درر الدرر» منها النموذج التالي:

أنوار أحمد حسنها يتلألأ المصطفى يحمل الكمال يملأ

الشمس تخجل وهو منها أضواء النور منه مقسم ومجزأ

قد زان ذلك النور إبراهيم صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على المسك الفتيق الأطيب صلوا على الورد المعين الأعذب

صلوا على نور نوى في يشرب صلوا عليه بمشرق و بمغرب

مزال في الرسل الكرام كريما صلوا عليه وسلموا تسليما[1]

---

[1] -ينظر المرجع نفسه ص 147

[2] - سورة النحل الآية 182.

[3] - ينظر محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري(د.ط) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 2007 ص 155

- فطبيعي أن يكون للجزائر حظ في هذا الوصف منذ تكونت في تاهرت الدولة الرستمية الإباضية وقد كان من أمرائها من يجري الشعر على ألسنتهم مثل أفلح بن عبد الوهاب(211–240هـ) وله قصيدة كما مر بنا في العلم والتعليم والترغيب وهي رمز لعناية تلك الدولة بالحركتين العلمية والأدبية في تاهرت، ويلقانا من مبكري شعرائها أحمد بن فتح التاهرتي وابن عزم –حينئذ– بكر بن حمّاد وتصبح تاهرت قبلها الجزائر جميعها تابعة للدولة العبيدية في المهدية[2]
- وعليه نستنتج أن المديح من أهم الأغراض التي طرقها الشعراء ولا سيما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتشوق إلى زيارة قبره و إحياء مولده، فهو من أقدم الأغراض الشعرية.

[1] - ينظر نفسه، ص 151
[2] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف1119 كورنيش القاهرة ج.م.ع .(ط1) ص 120

II. المولديات:

إن المولد النبوي الشريف هو باب بالنسبة لتاريخ البشرية من أجل التعريف بنبينا العظيم قال الله تعالى: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[1]، فقد عبر عنه القرآن الكريم بأنه "رحمة للعالمين" وهدى للناس، ففي شهر الربيع الأول أعلن للبشرية عن ذكرى المولد النبوي الشريف واحتفل به أهل السماء والأرض لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان رحمة للعالمين وللبشرية جمعاء.

وقد كانت مناسبة المولد النبوي الشريف دافعاً كبيراً لكتابة الأشعار لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتغني بخصاله الكريمة الطاهرة مما أدى إلى بروز فن أدبي يعرف بالمولديات الذي تطرق إلى صفات الرسول وأخلاقه وغزواته وكل ما يتعلق بحياته الطاهرة.

« ويدخل شعر المديح النبوي ضمن الشعر الديني الذي يجمع الزهد والتصوف».[2] وقد ازدهر على مر العصور في الحضارات العربية وبلغ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف آفاقاً طويلة[3]، ويعد ما قاله عبد المطلب عم النبي ﷺ حين ولادته ﷺ أول ظهور لشعر المديح النبوي، حيث شبه ولادته الشريفة بالنور والإشراق الذي أنار الكون وملأ الآفاق سعادة وفرحا وبهاء.

حيث يقول:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

فتحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

« وازدهر شعر المديح النبوي الشريف في عصر الموحدين وبرز فيه شعراء كثيرون منهم ابن الجنان (ت646هـ) وابن الأبار القضاعي (ت658هـ)»

ابن الأبار القُضاعي: يقص في أشعاره ما آلمه من عدم قدرته على زيارة قبر الرسول ويطلب زائر نبيه أن يستشفعوه عنه.

يا زائر القبر قبر محمد بشرى لكم بالسبق في الزوار

أوضعتم لنجاتكم فوضعتم ما أركم من فادح الأوزار

[1] - سورة الصف ص9

[2] - ينظر محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي .دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا.ط1 2001 ص 136

[3] - مرجع نفسه ص137

فوزوا بسبقكم وفهم هوا بالذي حملتكم شوق إلى المختار

أدوا السلام لي فالشفاعة عنده فيها أبو رتبة الأبرار[1]

ويعتبر حسان بن ثابت (ض) رائد المدح النبوي، الذي أحب الرسول ﷺ ودافع عنه، وامتلأ ديوانه بعيون قصائد المديح، وجاء بعده شعراء على مر العصور الأدبية اهتموا بهذا الفن ونظموا في مضماره الكثير من القصائد التي تترجم حبهم وعشقهم بشخص النبي وتعكس قيمته في نفوسهم.[2]

مفهوم المدح: مدحه " كمنعه " يمدحه مدحاً ويمدحه بالكسرة هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدح مصدر والمدحة اسم والجمع مدح؛ أحسن الثناء عليه، ونقضيه الهجاء.

قال علماء الاشتقاق وفقهاء اللغة: "المدح بمعنى الوصف الجميل ويقابله الذم، وفي المصباح مدحته مدحا كـ(نفع) أشرت عليه بما فيه من الصفات الجميلة، خلقية كانت أو اختيارية. (المديح والمدحة) بالكسرة والأمدوحة بالضم، ما يمدح به من الشعر، جمع (مديح) مدائح وجمع أمدوحة أماديح.

ويقول ابن منظور في لسان العرب: المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء، يقال: مدحته، مدحة واحدة، ومدحه يمدحه، مدحا ومدحة، هذا قول بعضهم والصحيح أن المدح المصدر والمدحة الاسم، والجمع مِدح، وهو المديح والأماديح، والمدائح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والأمدوحة ورجل مادح من قول مدّح ومديح وممدوح.

وقال الزمخشري: مدح، مدحه وامتدحه وممتدح ومدح، يمدح بكل لسان والعرب تمدح بالسخاء، وهو يتمدح الى الناس أي يطلب مدحهم، وعندي مدح حسن ومديح ومدائح ومدحة ومدح وممدحة وأمدوحة وأماديح[3].

– مفهوم المديح النبوي : هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخَلقية والخُلقية، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديراً وتعظيماً[4].

---

[1] - مرجع نفسه 142.141

[2] - عبد اللطيف في المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، كلية الآداب واللغات، العددان العاشر والحادي عشر، ص70

[3] كفايت الله الهمداني ومحمباد شاه – المديح النبوي عند شعراء العربية الباكستانيين –مجلة القسم العربي، د.ت.

[4] نفس المصدر السابق– ص3

ومما لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم استحق المدح والثناء، إذ أثنى عليه الله تعالى في كتابه العزيز ونصره :" إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كفَرُوا ثَانِي اثْنَينِ إذْ هُمَا في الغَّار إذْ يقولُ لصَاحِبِهِ لَا تَحزنْ إنَّ اللهَ معَنَا فَأَنْزلَ اللهُ سَّكِيْنَة عَلَيْهِ وأيَدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوهَا وجَعَلَ كَلِمَةَ الذينَ كفَرُوا السُفْلَى وكلمَّةَ الله هي العليَا والله عزيزٌ حكيمٌ " 40- التوبة .[1]

المديح النبوي في الشعر الجزائري:

انتشر المديح النبوي في العالم العربي مع أول يوم من ميلاد الرسول وساهمت الدعوات والفتوحات على مر العصور في انتشاره وهو بلاد المغرب نجد أبا العباس الغرفي الذي يعد من الأوائل هناك في سن الاحتفال بالمولد النبوي وهو موضوع التف حوله الناس وابتهجوا به، وقد أنجز هذا الرجل كتابه "الدر المنظم في مولد النبي المعظم "، والذي أتمه بعده ابنه أبو القاسم صاحب سبته وأهداه إلى الخليفة الموحدي، فتوسعت بعد ذلك ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي موضوعا وفتح الباب على مصراعيه للشعراء لدخول حلية التنافس، ويعتبر موضوع الاحتفال بالمولد النبوي موضوعا بكرا في المغرب ولم يسبق إليه أحد، ويؤكد ذلك أبو العباس الغرفي في قوله: ثم وردت مورده العذب فوجدت بابه مقفلا ما دار أحد حوله ولا حام، واغتنمت ذلك وأقدمت من غير احجام[2].

ونذكر على سبيل المثال عينة من مدح الرسول عليه الصلاة والسلام في المغرب الإسلامي قول ابن أبي الخصال في قصيدة مولديه استعاد من خلالها وبأسلوب قصيص سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته مضمناً فيها شكواه وباثا عواطفه الملتهبة نحو الحبيب المصطفى.

إليك فهمي والفؤاد بيثرب وإن عاقني عن مطلع الوحي مغربي

أعلل بالأمال نفسا أغرها بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي

ودني على الأيام زورة أحمد فهل ينقضي ديني ويقر بمطلبي

وقد كان المديح النبوي يؤدي الى الكثير من الأغراض :

قالوا محمد قد حلت كتائبه كالأسد تزأر في أنيابها العصل

فويل مكة من آثار وطأته وويل لقريش من جوى الهبل

فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم تلمم ولا بأليم اللوم والعذل[3]

---

[1] سورة التوبة – اية 40

[2] أحمد موساوي – المولديات في الأدب الجزائري القديم – موفم للنشر – الجزائر – 2008- ص 66

[3] أحمد موساوي – نفسه، ص 69-70

تعد دواوين الشعراء الجزائريين ما تزال في طي الكتمان ولا نعرف أن واحد منها، مما يعود الى العهد العثماني، فدواوين المنداسي وابن علي والمقري والمانجلاني وابن سحنون وابن الشاهد وأضرابهم لم تنشر أو تعرف بعد وكل ما نعرفه عن الشاعر أو ذلك هو بعض الأبيات أ القصائد المثبتة عرضا في أحد المصادر التاريخية أو الفقهية أو المتفرقة في الوثائق العامة ولعل هذه الظاهرة ظاهرة الإهمال للشعر وأهله تؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون من أهل المغرب العربي قد أضاعوا رواية أشعارهم وأخبارهم فأضاعوا أنسابهم وأحسابهم .[1]

يعتبر الدين بأوسع معانيه من أهم الأغراض التي طرقها الشعراء، ولا سيما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتشويق الى زيارة قبره وإحياء مولده، ويشمل ذلك أيضا الشعر الصوفي والتوجه الى الله وقت الشدة، ومدح ورثاء الأولياء والصالحين ونحو ذلك.

وقد أورد أحمد المقراني في "نفع الطيب" نماذج من المديح النبوي قالها الشاعر محمد بن محمد العطار الجزائري " نسبة الى مدينة الجزائر".

من ذلك قصيدة له في عشرين بيتا في المدينة المنورة أيضا مطلعها :

أهدت لنا طيب الروائح يثرب فهبوا بها عند النسيم يطرب

فالتشوق الى البقاع المقدسة ووصفها والحنين إليها ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم أغراض قديمة عند الجزائريين .

وقد أكثر بعضهم من النظم في هذا الغرض حتى أنهم خصوه بديوان كامل، ومن هؤلاء عبد الكريم الفكون الذي نظم ديوان في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي حياته عموما.

ورغم أن ابن عمار قد لاحظ أن الشعر القريض الذي يتناول المدائح النبوية قليل في عصره، فإنه قد ذكر أن أحمد المانجلاتي قد برع فيه وفي الموشحات أيضا.

فقد اعتبره ابن عمار ثالث اثنين هما : البوصيري وابن القارض في القصائد النبوية، وله في المديح النبوي وهي:

الركب نحو الحبيب قد سارا يود شوقا إليه لو طارا

ومن شعراء المديح النبوي أيضا الأكحل بن خلوف وأبو عبد الله محمد المغوفل، والمعنيين كلاهما قد اشتهرا في هذا الباب.[2]

[1] د. أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – دار الغرب الإسلامي –ط 1-ط 2 ، -183- ص 239

[2] - د. أبو القاسم سعد الله، نفسه- ص 245-246-247

III.تعريف بالشاعر إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبدالله ابن عبد العزيز التميني اليسجني (ت: 1232هـ/1817م) وتجربته الشعرية في فن المولديات:

يعتبر شعر المديح النبوي أو ما يعرف بالمولديات لوناً مشهوراً في الساحة الشعرية الجزائرية وقد تناوله الشعراء وتفننوا فيه؛ و«شعر المولديات بابٌ واسعٌ من أبواب المديح النبوي ذو ألوان متغيرة، نابعة من الحكمة الصادقة التي تعبر عن حياة راقية وحالات نفسية رائعة في حوار بليغ ومناجاة إلهية وحب نبوي صادق ورفيع يترفع عن الحب الدنيوي ليبقى يسبح في عالم الروح الطاهرة النقية والصافية والراضية والمرضية[1]».

«ومن العلماء الذين تناولوا فن المولديات العالم الجزائري إبراهيم بن بِحمان بن أبي محمد بن عبدالله بن عبد العزيز التميني اليسجني (ت: 1232هـ/1817م) من علماء بن يزقن البارزين أخذ العلم عن خاله الشيخ عبد العزيز التميني (ت.1223هـ/1808م) وعن الشيخ أبي زكريا يحيى بن صالح الأفضلي (ت.1202هـ/1787م)

وهو من أنصار النهضة الإصلاحية الحديثة بميزاب والدعاة لها بالخطب والوعظ والإرشاد، فكان ينتقل بين مدن وادي ميزاب يدعو إلى العلم ويحارب الجهل والبدع، وله تلاميذ كثيرون، وكانت له صلات وثيقة بعلماء الجزائر والمغرب وعُمان، كما أن له مراسلات إلى البايات والدايات الأتراك باسم مجلس عمّي سعيد الذي كان كاتب تقاريره؛ منها رسالة بتاريخ 1206هـ/1791م أرسلها إلى داي الجزائر الحسن الدولاتلي، يستعطفه فيها طالبا منه التدخل والحيلولة[2] دون قبول الطلب الذي تقدم به باي قسنطينة_ الباي صالح _ لبسط نفوذه على الرعايا المزابيين، وقد حفظت لنا كل هذه المراسلات في مخطوطات بخط يده، وهو شاعر تمتاز قصائده بقيمتها التاريخية، وإن لم ترق إلى مستوى الشعر الجيد من الناحية الأدبية، ولديه بردة في مدح الرسول مطلعها:

إنّي رأيت خيال البيت والحرم في ليلة من أشهر ليال الأشهر الحرم

بتُّ لذاك الخيال ساهرا بهوى والجسم في سقم والقلب في ضرم

وفي بردته بمدح خير البرية رسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام.»

[1]- خداوي أسماء، الأدب الجزائري في ضوء المناهج النقدية الأدبية المعاصرة، رسالة الماجيستر، جامعة وهران، 2016/2015.

[2] - ينظر: معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ج2، ص13

مؤلفاته:

ترك الشيخ إبراهيم بن بحمان التميني مؤلفات عديدة جلها ما يزال مخطوطاً، وهي:

- تفسير آيات النور من سورة النور وتفسير سورة الفاتحة وتفسير سورة العصر سماه أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر»
- حاشية على تفسير أنوار التنزيل و أسباب التأويل»
- «الرحلة الحجازية» نظما ونثرا.
- شرح مجموعة من الأحاديث
- «شرح موازين القسط» لأبي مهدي عيسى بن إسماعيل
- «تلخيص عقائد الوهبية في نكتة توحيد خالق البرية»
- قصائد عديدة منها: قصيدة البردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم طبعت 1387هـ/1967م وقصيدة في رثاء شيخه عبد العزيز الثمني وأخرى إلى حاكم الجزائر الحسن باشا الدولاتي.[1]

خلاصة الفصل:

- وعليه نستنتج أن المولديات هي ذلك الشعر الذي واكب سنة الاحتفال بالمولد النبوي فأشاد بالذكرى ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ونجد أيضا في المدائح النبوية الصور الفنية الراقية والايقاع الرائع وهذا تعظيما لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ونستنتج أن الجزائر قد ضمت من قبل مفكرين وأدباء لامعين سمعتها العلمية والأدبية تجاوزت حدود المغرب والأندلس والمشرق، ولو سلطنا الضوء على شعر نخبة من شعراء مدينة الجزائر والتعريف بأغراضه من مدح ووصف وغزل وغيرها لوجدنا أبرز الأغراض هو المديح النبوي الذي جاء ضمن شعر المولديات، وقد نبغ في هذا المضمار من الجزائريين أمثال: أحمد المانجلاني ومحمد بن علي وابن عمار ومحمد عبد الكريم المغيلي وإبراهيم بن بحمان التميني الذي نحن بصدد دراسة بُردته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1] - ينظر: معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ج2، ص14

الفصل الثاني: مضمون القصيدة البردة

- المعجم الديني

- دراسة فنية جمالية

المطلب الأول: مضمون القصيدة

تقع بردة ابن بِحمان[1] في مئة وخمسة وستين بيتاً وتعتبر من القصائد الطول وتشتمل البردة على عدة عناصر: ففي صدرها الشوق إلى بيت الله عزل وجل والحنين إليه، ويليه الثناء على الله عز وجل، ثم مدح الرسول وذكر مولده ومعجزاته، وآله الأبرار، ثم ذكر أصحابه المكرمين، ثم مناجاته لله عز وجل لنيل رضاه.

1. استهل الشاعر قصيدته بديباجة نثرية بيّن فيها سبب نظمه القصيدة، وتناول فيها بالحديث عن الشوق إلى بيت الله الحرام في رؤية رآها إذ قال: «ثم إن الله عز وجل قّدر لي بعد مُضي مُدة طويلة في المنام خيالاً قد رأيته في شأن بيت الله الحرام»[2] ... فجادت لذلك قريحته بهاته الأبيات المفعمة بالصدق والإخلاص فعبر عن لوعته حنينه ووجده لبيت الله المعظم حيث قال:

إني رأيت خيال البيت والحرم

في ليلة من ليال الأشهر الحرم

بت لذاك الخيال ساهراً بهوى

والجسم في سقم والقلب في ضرم

ففاض عيناي بدمع وابل سَجِمٍ

حر بخدي قد مزجته بدم

[1] - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الفصل السابع ص 183

[2] - ينظر: ديوان ابن بحمان، تح يحيى بن بهون حاج امحمد، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، ط1، 2007، 126 وما بعدها.

كففت دمعي فلم تقلع سحائبه

دويت قلبي فلم يشفى من السقم

يا عاذلي في الهوى للبيت معذرة

يكفيك مني بما شهدت من ألم

أخلصت نصحا إلي لست أسمعه

هيهات هيهات أن أصغي لمتهم[1]

2. أما في الثناء على الله عز وجل فقد بدأها الشاعر بذكر أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين وذكر صفاته الكريمة بأجمل الأوصاف كان ذلك بقوله:

الله مولانا عز ذكره وسمى

أحلى على ألسنة من عسل بفم

إلهنا واحبُ الوجود منفرد

مخالف للوّات ثابت القدم

باق عزيز حكيم أول آخر

بر رؤوف لطيف غافر اللّمم

حق إله عليم قادر صمدُ

حي سميع بصير بارئ النِّسَم[2]

قام شاعرنا بالثناء على الله عز وجل في ثلاثين بيتا، ذكر فيها صفات الله الجليلة كالرحمة والعفو والإحسان إلى خلقه وحده وذكر أيضا قدرته أنه بكل شيء عليم.

[1] - ديوان ابن بحمان، ص 138.
[2] - نفسه، ص 139.

3. وفي مدح الرسول عليه الصلاة والسلام تحدث عن صفاته الحميدة فهو خير خلق الله وأفضلهم نسبا وأصدقهم لسانا ومنتصراً للحق ويتسم بالبشر وسماحة الخلق والجود والكرم وطيب الفعل:

محمد زينة الدنيا وضرتها
محمد خير خلق الله كلهم
أعلى الورى حسبا أفضلهم نسبا
محمد هو أوفى الناس في الشيم
بالفضل منتظم بالصدق ملتزم
بالحق منتصر بالبشر متسم
بالدين مستبشر بالحسن مشتمل
بالسيف معتصم للحرب محترم[1]

– وقد كان له في مدح الرسول تشبيهات جميلة:

كالورد في ترف والدُّر في صدف
والبدر في شرف والبحر في كرم
كالنجم في غسق والشمس في أفق
والزهر في برعم والدهر في همم[2]

في هاته الأبيات شبه الرسول عليه الصلاة والسلام بالزهر " كالزهر في ترفٍ" أي كالزهر البهي في لطافته ونعومته، المتميز والمشرق في الحقل كما أشرقت الرسالة المحمدية على سائر الخلق وهو صلى الله عليه وسلم كالبدر في شرف أي كالقمر في كماله وشرفه وعلوّه، وفي الأخير تتراءى منازل الفائزين بالجنة وتتراءى الكواكب في السماء والرسول عليه الصلاة والسلام أعلاهم وأعلى من البدر رفعته "[3]

[1] - ديوان ابن بحمان، ص 139
[2] - نفسه، ص 142
[3] - شاكر بن بلقاسم الرّوافي، رحيق الوردة بشرح البردة للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، منشورات مطبعة الرشيد، تونس، ط1، مارس2006، ص 49

وذكر أنه كالبحر في كرمه وقد كان البحر مذكورا في القرآن الكريم قال تعالى: « وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا»[1]

وقد تحدث عن الوحي حيث أيّد الله نبيه الكريم بالقرآن وأرسل إليه جبريل بآيات كريمات لم يستطع لجزالتها وفصاحتها أن يقلدها إنس ولا جان ، قال :

أتاه جبريل من عند الرحيم بنا بمحكم الذّكرِ والآيات والحكم
آية صدق من الرحمان معجزة موصوفة بحدوثِ المعنى والكلم
مقرونة بزمان قد تحد بها إلاّ هنا فصحاء الحِل والحرم
قد حدهم ربنا بمثل سورها فعجزوا عَمَهًا عُميًا بلا خصم
ردت فصاحتها دعوى مُعَارِضِها من مصقع الناس من عرب ومن عجم
فلجزالتها ولبلاغتها تعطى لقارئها معنى بلا سدم [2]

4. ذكر مولده ومعجزاته :

تكلم الشاعر عن مولد النبي عليه الصلاة والسلام وذلك عام الفيل يقول صِفي الرحمان المباركفوري : « ولد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل لأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنو شروان، ويوافق ذلك عشرين أو اثنين وعشرين من شهر أبريل سنة 571 م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصور فوري – رحمه الله »[3] وقد تنبأ الكهنة بمولده وانصدع إيوان كسرى بمقدمة، قال الشاعر:

هو النبي الذي كان مولده ببطن مكة عام الفيل في الحرم
عام أتى الحبشي فيه أبرهة يريد صدما ليت الله ذي الحرم
دمره الله حيث عاد منهزما بالطين قد طبخت بالنار حين رمي
في يوم الاثنين قد جاءت بشارته بطيب عنصر بدئه ومختتم
كهانة أخبرت بنور مولده قوما ذوي عمه وهم ذووا صمم
لفارس فرس آياته ظهرن حقا قد ارتجفوا البؤس والنقم

[1] - سورة النحل الآية- 14.
[2] ابن لجمان ، المرجع نفسه.
[3] صفى الرحمان المباركفوري،الرحيق المختوم ،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،جمهورية مصر الغربية ، ط 20 ،2009،ص61.

وبات كسراهُمُوا لصدع دولته وهدم إيوانه في الغَمِّ والسقم [1]

وقد تطرق الشاعر إلى معجزات النبي عليه الصلاة والسلام فذكر تصديق الأشجار له ونسيج العنكبوت والحمام في الغار وتكليم الطير وسقيه للأنام بماء من أصابعه الطاهرة؛ "أمر الله سبحانه وتعالى الماء أن ينبع من بين أصابعه الطاهرة في أكثر من مشهد وفي أكثر من حالة ليتبين للناس صدق ما نزل إليهم على يد نبيه"[2]، "وقد حن إليه الجذع الذي كان يخطب عليه لما صنع له المنبر، وقد سمع هذا الحنين جميع أصحابه، وكان صوت الحنين مثل صوت الإبل، فضمه إليه صلى الله عليه وسلم فسكن"[3] يقول ابن بحمان في ذلك:

أتت لتصديقه الأشجار حين دعى لها ذلولا على ساق بلا قدم

تسعى لحاجته في الإستتار بها سعي الحجيج بيت الله والحرم

قد نسج العنكبوت والحمام على غار وطرف من الكفار عنه عمي

وأنبت الله بالغار له شجراً كأنه لم يكن بالغار من إزم

ببطن راحته قد تسبحت، ورمى حصى بيوم حنين، طرف منهزم

كذا ببدر وفيه أمكنة أمده الله بأملاك ذوى كرم

أحْيَ الموات، وبعض الطير كلمه كذرع مسمومة في أكله بفم

وفي كلام الحمار والبعير له آية حق من الرحمان ذي النعم

كما أبرأت يده بالمس من وصب ودعوة أحيت الشهباء بالدِّيَم[4]

وقد تحدث في ثلاث عن غزواته سبعة عشر وذكر جهاده فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام من أشجع الناس وأجرؤهم صدراً، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوه بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً"[5] وقد كان النصر حليف المسلمين في غزوة بدر يقول الله تعالى: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»[6]، يقول ابن بحمان في أبياته:

فقد غزى سبعة عشر وكذا عشر بذاته ذات المجد والكرم

فسأل به خندقا واسأل به أحد واسأل حنينا وبدر البوس وللنقم

---

[1] ديوان ابن بجمان، المرجع السابق، ص 143 ، ص144 .

[2] - محمد الفحام وأحمد الصباحي، عوض الله، حياة وأخلاق الأنبياء، دار إقرأ، بيروت، الطبعة الثانية 1985م، ص432.

[3] - المرجع نفسه ص434

[4] - ديوان ابن بجمان، ص 144 ، ص145

[5] - محمد الفحام وأحمد الصباحي ،عوض الله، حياة وأخلاق الأنبياء، مرجع سابق ص421

[6] - سورة آل عمران، الآية 122

واسأل به خيبرا واسأل حديبية بالفتح أسقى قريش ألم الوغى[1]

و ذكر أهله الأبرار و زوجاته الطاهرات:

فاثنتا عشرة كانت له امرأة خديجة، عيشة، أم ذوي السَّلم

فحفصة زينبان سودة وكذا صفية بنت حُيَ سيد العجم

ريحانة، رملة وميمونة وكذا هند جويرية طيبة الشيم

فقاسم، زينب، فبعد أرقية فاطمة طيبُ وطاهر النسم

وأم كلثوم من خديجو وله بريهم سيدا من أحسن الخدم

5. ذكر أصحابه المكرمين:

أورد الشاعر ابن بحمان أصحاب الرسول فقد كانوا له مخلصين وكان بهم رحيما وعطوفا فوقفوا معه في دعوته وحاربوا المشركين، فأحبهم وأحبوه " كان الرسول يحب أصحابه حبًّا جمًّا، وكان إذا ما صافح أحداً منهم لم يسحب يده إلاّ بعد أن يسحبها صاحبه، وكان لا يلقى الناس إلاّ بوجه باسم"[2]

وذكر ابن بحمان من الصحابة أبا بكر وعمر الفاروق اللذين كانا من خيرة صحابة رسول الله الأبرار وكل صحابته كانوا سندا له:

خليفة بعده خير صحابته ثانيه بالغار حقا وافي الذمم

وبعده عمر الفاروق وقد ثبتت له مواقفه القرآن في الحكم

وقد تميز صحابته بالشجاعة والبطولة فدافعوا عن دين الله ورسوله بكل قوتهم مسبلين أرواحهم لدين الله:

في الله قد جاهدوا للحرب ما جمعوا بالبيض قد فتكوا جبهة كل كمِ

كأنهم زهر روضة على فرس يوم قِراع العِدى بالسُّمو في القمم

[1] - ديوان ابن بجمان ، المرجع السابق، ص 146

[2] - منير البعلبكي، حياة محمد ورسالته، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ماي 1980، ص 268.

عاليهم حلل القنى مطرزة لجمرة من كحمرة العنم

فكم وكم وقفة عاشت بلحمهم فيها الضراري من السباع والرخم

فلا يخافون في سبيل ربهم ملامة من لئيم ذوي الرحم

لا يفخرون بمال ولا نسب بل يفخرون بتقوى الله ذي النعم

جفونهم قد تجافت عن مضاجعهم في طاعة الله ذي الجلالة والكرم

وقد خاطب نفسه ودعاها ونجاها الله واستغفره لنيل عفوه :

يا نفس لا تقنطي وجددي عملا ولا زمي توبة لله والتزم

وبادري واقبلي لله واعتصمي واستغفري الله من ذنب ومن جرم

ولي عيوب بثوب العفو قد سترت فلو بدت كنت مذموما بكل فم

فليس لي ملجأ أرجوا النجاة به سوى رجائي لهو الله ذي النعم

عفو ربي إلي ذنبي أجل وإن كانت ذنوبي في نهاية العظم [1]

وفي الشطر الأخير من البردة يتوجه الشاعر ابن بحمان بالدعاء إلى الله تعالى ليصلي ويسلم دائمًا على حبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يضيف ابن بحمان صفات الرسول الجليلة وأنّه خير البريّة «بين صفة اختص بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي أنّه خير خلق الله كلّهم، والشاهد على ذلك أنّ الله تعالى رفع ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرن كلمة التوحيد التي هي أسمى كلمة على الإطلاق وأفضل ما قال النبيّون عليهم الصلاة والسلام»[2].

فكان الرسول رحمة للبشرية «يقول علي ابن أبي طالب: وكان عليه أفضل الصلاة والسلام أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأفهمهم ذمّة وأرحمهم قلبًا وأعظمهم حنانا وعطفا»[3].

[1] - ديوان ابن بجمان ، المرجع السابق، ص 147

[2] شاكر بلقاسم الروافي ، رحيق الورد يشرح البردة منشورات، مطبعة الرشيد ، تونس ، ط 1 ، مارس 2006 ، ص 11.

[3] فايد العمروسي، محمد سيد المرسلين، دار الشروق، بيروت، ب ـ سنة ، ص 65.

يقول الشاعر ابن بحمان :

يا رب صلّ وسلم دائمًا وأبدا على النبيء نبي الخير والكرم

وضاعفن صلاة منك طيبة على النبي ختام الرسل والأمم

فاخصص بأسنى سلام طيب عطر رسولك المجتبى يا خالق النسم

محمد صلوات الله دائمة عليه ما لاح برق في دجى الظلم

والصُّحب واللاّل البيت والحزم وكل بارٍّ تقيَّ وافي الذمم

ما لاح بدر وما غنت مطوقة وحن صب إلي الطواف بالحرم

وسح ودق غزير ساجم بصفى وهز ربح الصبا زهرة الأكم

ورنَّ قلبي بما قد قلته رجما إني رأيت خيال البيت ذي الحرم[1]

وهذا آخر ما جاء في بردته.

المعجم الديني:

يعد موضوع الدين بأوسع معانيه من أهم الأغراض التي طرقها الشعراء ولا سيما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتشوق إلى زيارة قبره وإحياء مولده ويشمل ذلك أيضا الشعر الصوفي والتوجه إلى الله وقت الشدة والمدح ورثاء الأولياء والصالحين ونحو ذلك[2].

وعند دراستنا لأي شعر نجد أن لكل نص معجمه الخاص به في تحديد حقله الدلالي وخلاله تظهر لنا طبيعة النص من حيث المفردات التي تشكله وهي بدورها المفتاح والمحور الرئيسي الذي يحتوي عليه النص.[3]

– شيوع المعجم الديني في القصيدة المولدية راجع للمسحة الدينية باعتبارها قصائد جاءت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر مولده وحياته ومدى الشوق والحنين للرسول عليه الصلاة والسلام وعند الاطلاع على القصائد المولدية نجد أغلب مفرداتها من المعجم الديني وهذا

[1] ديوان ابن بحمان ، المرجع نفسه ، ص 148 ، ص 149.
[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، ج 2 ، 1500 – 1830 ، ص .
[3] ينظر: أحمد موساوي ، المولديات في الأدب الجزائري القديم، موفم للنشر ، الجزائر ، 2008 ، ص 201 .

يتجلى بوضوح فيها، وعند دراستنا لمولدية الشاعر إبراهيم بن بحمان نجده قد نوع في استخدامه للألفاظ الدينية من معجم الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك معجم البقاع المقدسة وكل هذا يصب في المعجم الديني.

أ/- معجم الرسول صلى الله عليه وسلم في الديوان ومنه: (خير نبي، من اسمه سميا يسمو على العلم، خيرة الله، صفوة الله، قائد للخير والكرم، زينة الدنيا وخرتها، خير خلق الله كلهم، أعلى الورى حسب، أفضل النسب، أوفى الناس في الشيم، بالفضل منتظم، بالصدق ملتزم، بالحق منتصر، السيد الطاهر المصطفى، طاهر الشيم، سمح الخلائق، سهل المكارم...إلخ)[1].

كما وظف الشاعر في مولديته وذكر نسب الرسول عليه الصلاة والسلام، وعدّد خصاله وصفاته وغزواته مع ذكر زوجاته وأبنائه وبناته صلى الله عليه وسلم وهذا ما يبين لنا مدى شوق الشاعر وحنينه لخاتم الأنبياء والرسل صلاة الله عليه.

ب/- معجم الأماكن المقدسة: (مكة بيت الله، خندق، أحد، خيبر، حديبية، الغار، حنين).[2]

نلاحظ كثرة الألفاظ المرتبطة بهذه المولدية والتي وقف عندها الشاعر إبراهيم بن بحمان وقفة طويلة متأملا وواصفا حياة خاتم الأنبياء والرسل باعتماده على مفردات ومصطلحات لها علاقة بالنبوة ليتمكن في الأخير رسم صورة متكاملة على شخصية عظيمة عند المسلمين ونلاحظ أيضا شوق وحنين الشاعر لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، كثرة استعمال المصطلحات الدالة على الأماكن المقدسة ما دل على شيء إلاّ وفسّر لنا مدى شوق الشاعر إبراهيم ابن بحمان لشفيعنا يوم القيامة.

ودليل استخدام تلك المفردات هو لارتباطها بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو صاحب المناسبة ومحور الحديث كله وصلى الله عليه وسلم .

ج/- كما ذكر أيضا أسماء الله الحسنى[3]، والتي تكمن دلالتها في التباين للدلالة على الصفات، لكل اسم منها معنى خاص كالعظيم والكبير والعزيز وغيرها من أسماء الله الحسنى، فكلها تدل على ذات الله عز وجل وتعتبر أعلام وأوصاف . فالحي القيوم والسميع البصير والعزيز العليم

[1] ديوان ابن بحمان ، ص 141 ، 142.
[2] نفسه، ص 143 ، 144 ، 146.
[3] نفسه، ص 139 .

وغيرها من أسماء الله الحسنى كلها أسماء لمسمى واحد هو الله عز وجل، وللحي معنى خاص وللقيوم معنى خاص، وهكذا فالحي يدل على صفة الحياة والسميع يدل على صفة السمع وغيرها.

– وعليه نستنتج أن الشاعر تأثر بالمعجم الديني ولا سيما لغة القرآن الكريم التي استخدمها كثيرا في ألفاظه وعباراته، كالتناص من القرآن الكريم وتضمين الشاعر في قصيدته لقوله تعالى في الآية 225 من سورة البقرة في البيت :

له التصرف كيف شاء في خلقه تعالى عن سنة فضلًا عن أن ينم

وكذلك قوله وكان أيضا فيه تناص من القرآن الكريم الآية 4 من سورة الرعد ، في البيت :

ينشى التمار به، والبعض فضّله منها على بعض عند الأكل للنَّهِم[1]

1) الأساليب الخبرية والإنشائية :

تتميز اللغة العربية ببلاغة رائعة تعرف بأنها فن الخطاب، حيث الشاعر من خلالها يستطيع إقناع المستمع والتأثير فيه أي إيصال معنى الكلام ومضمونه إلى المتلقي، وعن طريق توظيف معاني دقيقة، واللغة العربية تستعمل أسلوبين أساسيين هما: الأسلوب الخبري الذي يحتمل الصدق أو الكذب باستثناء ما جاء من القرآن، والأسلوب الإنشائي هو أسلوب لا يحتمل الصدق والكذب.

أ- الأساليب الإنشائية :

وهذه الأساليب التي نزاولها إما تنحصر في قسمين اثنين: أساليب خبرية وأساليب إنشائية، وكان هذا التقسيم على أساس الكلام فإن إذا احتمل الصدق والكذب لذاته يسمى كلاما خبريا، وإذا كان بخلاف ذلك أي لا يحتمل الصدق والكذب ولا يصلح الحكم على القائل صادقا أم كاذبا ، فإنه يسمى أسلوبا إنشائيا [2].

[1] نفس المرجع السابق ، ص 140 ، ص 141 .
[2] ينظر، عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 2001 م، ص 12.

– وإن كل من يقرأ مولدية إبراهيم بن بحمان يتبين له الاهتمام البالغ والواضح بالأسلوب الإنشائي من أمر، استفهام، نداء ومدح.

أ/– الأمر: يعتبر الأمر من الأساليب الإنشائية وهو طلب القيام بفعل ما وله عدّة أغراض، فالشاعر يأمر بالتدبر والتأمل في خلق الله وذلك في قوله :

فلن تجد أبدًا في ملكه خلَلًا فأنظر بعقلك ما في خلق من حكم[1]

وقوله أيضا في البيت :

وبادري أَقْبَلي لله واعتصمي إ واستغفر الله من ذنب ومن جُرم[2]

وهنا يأمر النفس بالإقبال لله تعالى والاستغفار من كل ذنب .

وكذلك قوله في البيت :

يا نَفْسِ لا تقنطي وجدَّدي عملًا ولازمي تَوْبَةً لله والتزم[3]

ويتضح لنا هنا أن الشاعر يأمر النفس بتجديد العمل والتوبة لله تعالى والالتزام.

وهنا الشاعر يعطي لنا غرضا آخر لأسلوب الأمر وهو الدعاء وذلك لسبب أنّه أقل منزلة من الله سبحانه وتعالى قصد الحصول على الصفح والتجاوز في البيت:

فاصفح إلهي عّما أنت تعمله منّي وجاوِز فما بشري يُمكتتم[4]

وفي البيت :

يا رب صلّ وسلّم دائما أبدًا على النبيء نبيء الخير والكرم[5]

كذلك غرضه الدعاء .

ب/– الاستفهام: وينقسم إلى قسمين الاستفهام الحقيقي وهو طلب معرفة شيء مجهول ويحتاج إلى جواب واستفهام بلاغي (غير طلبي) لا يتطلب جوابا وإنّما يحمل أغراضا بلاغية، نجد أنّ قصيدته تحمل في طياتها وبين ثناياها الاستفهام الذي غرضه الاستفسار والمعرفة وهذا في البيت:

---

[1] ديوان ابن بحمان ، ص 140 .
[2] نفسه، ص 147 .
[3] نفسه، ص 147 .
[4]- نفسه ، ص 148 .
[5]-. نفسه، ص 148 .

وقائل: كيف حال القلب؟ قلت: ضنى وقائل: كيف حال الطرف؟ قلت: عمَ![1]

وقوله كذلك في البيت :

وقائل: كيف حال الوجُد ؟ قلت له : إنّي شغفت ببيت الله والحرم[2]

وكما استخدم الاستفهام غير طلبي لا يريد منه الجواب وذلك في قوله :

أم كيف تُدْرك وهو لا نظيرَ لهُ سُبحانه جلّ عن مقالةِ الخصم [3]

وهنا استخدم الاستفهام ليبين معجزة الله تعالى في آياته التي خرقت عادة العرب والعجم

ج/- النداء: وهو أحد الأساليب الإنشائية المهمة الموجودة في القصيدة فالشاعر يخاطب (السامع) ويطلب المعذرة وهذا في قوله:

يا عاذلي في الهوى للبيت معذرة يكفيك مني بما شهدت من ألم [4]

والشاعر إبراهيم بن بحمان ينادي نفسه ويأمرها بالتوبة و الالتزام في قوله:

يا نفسي لا تقنطي وجددي عملاً ولازمي توبة لله والتزم[5]

ويقول أيضاً في البيت:

يا رب صل و سلّم دائماً أبداً على النبي نبي الخير والكرم[6]

وهنا يدعو الله عز وجل للصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

د/- المدح: وهو من بين أحد الأساليب الإنشائية التي وظفها الشاعر في مولوديته المدح، وكان بصدد التذكير بعظمة الله تعالى في قوله:

نعم النصير ونعم الله خالقنا عزّ وجّل عن القرين في الحِكم[7]

---

[1]- نفسه، ص 138 .
[2]- نفسه ، ص 138 .
[3]- نفسه ، ص 140 .
[4]- نفسه، ص 138
[5] - نفسه، ص 147
[6] - نفسه، ص 148
[7] - ديوان ابن بحمان، ص 139

وقوله كذلك في البيت:

نعم الرسول ونعم الله مرسله نعم النبيُ نبيُ الخير والكرم[1]

وهنا الشاعر يذكرنا ويبين لنا أن رسولنا نبيُ مخّير عليه أفضل الصلاة والسلام، وبهذا نرى تنوعا في صياغة الأساليب الإنشائية في القصيدة المولدية، ومهما كان هذا التنوع فإنه يحمل في طياته مشاعر وأحاسيس قوية مفعمة لدى الشاعر.

2) الصورة الشعرية:

للصورة الشعرية دور فعّال في القصيدة العربية لما تزيده عليها من خصوبة وإثراء لمعانيها ودلالاتها، وتتمثل في التشبيه والاستعارة

أ- التشبيه: "ويعرفه ابن رشيق في عمدته بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحد أو جهات[2]، وهو لون من ألوان التصوير الأدبي ويبين أن شيئاً شارك غيره صفة أو أكثر وتعقد هذه المشاركة بينهما بأداة وأدواته المشهورة: الكاف، كما، مثل..، وهو أنواع نذكر التشبيه التام الذي تتوفر فيه أركان التشبيه: المشبه، المشبه به، الأداة ووجه الشبه.

وهو ما لجأ إليه الشاعر في مولديته حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالورد في الترف والنعيم في الغسق في البيتين :

كالورد في الترف، والدر في الصدق والبدر في الشرف والبحر في الكرم

كالنعيم في غسق، والشمس في أفق والزهر في برعم والدهر في الهمم[3]

فنجد أن الشاعر وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وشبهه بالورد والنجم في الغسق فهي صورة ترقي باللغة وأعطت للدلالة قوة وإحساس عميق فالصورة التي أبدع فيها الشاعر أعطت للنص

[1] - نفسه، ص 143

[2] - الخطيب القزوني، التلخيص في علوم البلاغة ،تبع عبد الرحمان البرقوفي، دار الكتاب العربي،ط1،1901،ص 185

[3] ديوان ابن بحمان ، ص 142 .

رونقا وزادت من جماله وهذا لإبراز مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر العبارات الدالة عليها وذكر صفاته التي لا تعد ولا تحصى.

– كما نجد أيضا قد شبه سيدينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بالبحر وهنا بين لنا أنه عليه الصلاة والسلام يسع كل أقوال ولا يتردد لحكمته وصدقه وأمانته في قوله في البيت :

فأنسب إلى مجده ما شئت من كرم كالبحر ما شئت قل فيه بلا سأم[1]

فهنا الشاعر إبراهيم بن بحمان يمدح نبي في صورة متسامية لشخصيته عليه افضل الصلاة والسلام يذكر صفاته الخلقية والخلقية.

وأيضا شبه الصحابة بالزهر في قوله:

كأنهم زهر روضة على فرس يوم قراع العدى بالسهر في القمم[2]

ونجد الشاعر قد لجأ أيضا للتشبيه المؤكد وهو ما حذفت منه الأداة حيث خاتم الأنبياء والرسل بالبحر في كرمه وعطائه وهذا ما يتضح لنا في البيت :

كالورد في ترف، والدر في صدف والبدر في شرف و البحر في الكرم[3]

ونجده أيضا في نفس البيت شبهه بالدر.

ويبين لنا هذا التشبيه أن الشاعر قد انتقل من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مدح الصحابة عند ركوبهم الفرس ومحاربتهم للعدو.

ومنه نجد أن المشبه واحد وهو الرسول عليه الصلاة والسلام والمشبه به متعدد وهو ما يطلق عليه تشبيه الجمع.

– وعليه نستنتج أن الشاعر قد استعمل التشبيه بنوعيه التام والمؤكد وهذا ما أضفى على معنى قصيدته قوة ووضوحا وتوكيدا.

ب – الاستعارة: عند أبي هلال العسكري هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره [1]، وهي عبارة عن تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه إما المشبه به أو المشبه وعلاقتها

[1] ديوان ابن بحمان، ص 143 .
[2] نفسه، ص 147 .
[3] نفسه، ص 142 .

المشابهة دائما، وهي نوعان الاستعارة المكنية حيث يحذف المشبه به وترك لازم يدل عليه في قوله :

فغسل القلب منه بغير الاختلال به صدر زكي عن المعبود لم ينم[2]

هنا شبه الشاعر القلب بالثوب حيث حذفه وترك قرينة تدل عليه وهي "غسل" وهذا على سبيل الاستعارة المكنية ، نستنتج هنا أن لغة إبراهيم بن ابحمان لغة ذات طابع استعاري تؤكد دلالات في نفس الشاعر .

وقوله أيضا في البيت :

فلن نجد أبدا في ملكه خللا فأنظر بعقلك ما في الخلق من حكم [3].

هنا الشاعر ماثل بين العقل و العين حيث حذف المشبه به (العين) وترك لازم يدل عليه (أنظر) وهذا من قبيل الاستعارة المكنية ، وهذا ليؤكد على الدلالة وتقوية نسيج القصيدة، ويدعو الشاعر القارئ لتدبر في خلق الله .

وقوله كذلك في البيت :

أزال بالرمح كفر الكافرين به من كل قوم يريد نصره الصنم[4] .

حيث حذف المشبه به (شيء ملموسا يزال بالرمح) وترك قرينة دالة عليه (أزال بالرمح) وهذا على سبيل الاستعارة المكنية، فالشاعر بن بحمان انتقل من المعاني إلى شيء ملموس ومحسوس وهذا لتقريب المعنى.

وأيضا قوله في البيت :

ورن قلبي بما قد قلته وجما إني رأيت خيال البيت ذي الحُرم[5]

---

[1] بدوي بطانة ، معجم البلاغة العربية ، ط 3 ، دار المنارة الرفاعي ، ص 185 .
[2] ديوان ابن لجمان ، ص 104 .
[3] نفس المرجع ، ص 140 .
[4] ديوان ابن لجمان ، ص 145 .
[5] ديوان ابن بحمان ، ص 149 .

هنا الشاعر قد حذف المشبه به (المنبه) وترك قرينته تدل عليه (رنّ) وهذا على سبيل الاستعارة المكنية، وهنا يظهر الشاعر مدى خشوع قلبه بما ذكره ، تتمثل بلاغة الاستعارة في الإيجاز وتشخيص وتجسيد المعنى في شكل مادي ملموس وتقوية الفكرة وتوضيح المعنى.

وننتهي إلى بعض الصفات التي تصبغ الصورة في شعر إبراهيم بن بحمان.

– أن الصورة التشبيهية اتسمت بالبساطة لم تكلف الشاعر في صياغتها فهذا راجع للتعبير عن هيامه وشوقه للبقاع المقدسة والوقوف على الضريح النبوي وكذا في تعظيمه للشخصية المحمدية.

– لجوء الشاعر للأسلوب الاستعاري هو للتعبير عن أحاسيسه وعواطفه لحب الرسول صلى الله عليه وسلم مما جعل أي قارئ لمولوديته أفقا واسعا ومجالًا رحبا لتصور مشاعره وأحاسيسه لحب الرسول عليه الصلاة والسلام.

2) المحسنات البديعية: تنقسم إلى معنوية ولفظية والمعنوية في الطباق والمقابلة واللفظية تتمثل في الجناس والسجع .

أ– الطباق يعتبر أحد المحسنات المعنوية وهو الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده من كلام أو بيت شعر[1].

له نوعان :

– طباق سلب: وهو الجمع بين الكلمة و نفيها في قوله الشاعر في البيت :

كالدر يزداد حسنا وهو مبتهج إن كان منتظما أو غير منتظم[2]

حيث استخدم كلمة منتظم ونفيها بكلمة غير منتظم .

وكذلك في البيت :

لا يفخرون بمال ولا نسب بل يفخرون بتقوى الله ذي النعم[1]

[1] عبد العزيز عتيق، في بلاغة العربية علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د-ط ، د-ت ، ص 77 .
[2] ديوان ابن بحمان ، ص 142 .

نجدا طباق بين لفظتين لا يفخرون ويفخرون .

– طباق إيجاب : وهو الجمع بين كلمة وعكسها في قوله :

باق عزيز حكيم أول أخر بر رؤوف لطيف غافر اللمم

مبدئ معيد محيط نافع رحم ضار شهيد غني خالق الأمم

محيي مميت مجيب مقسط ورث مصور مبدع الكون من العدم[2]

وهذين من أضداد الكلمات : أول أخر نافع ضار محيي مميت

وتكمن بلاغته في تقوية المعنى وإيضاحه، فلولا وجود الأضداد لن يكون للمعنى معنى .

– وعليه نستنتج أن الشاعر قد أفاد في هذه الصورة البديعية " الطباق " في الصيغة بردته ببناء صورة متميزة لرسول صلى الله عليه وسلم وكذا في مجال الإشادة برسالة الإسلام الخالد .

ب– الجناس : و ينقسم إلى قسمين تام وغير تام فالجناس التام : هو ما تتفق فيه للفظتان في أربعة أمور :أنواع الحروف ، عددها ، هيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها [3].

وما أن اختلفت اللفظتان إما في نوع الحروف أو عددها أو ترتيبها أو شكلها فهو ناقص حيث اغلب ما وظفه الشاعر في مولديته الجناس الناقص في قوله :

إني رأيت خيال البيت والحرم في ليلة من ليالي الأشهر الحُرم[4]

حيث استخدم اللفظتين الحرم الذي يعني به بيت الله اما الثاني الحرم التي تعني الأشهر الحرم وهنا الجناس ناقص لأنهما اختلفت في شكل الحروف وقوله في البيت :

أعلى الورى حسبا أفضلهم نسبا محمد هو أوفي الناس في الشّيم [5]

حيث اللفظتان حسبا ونسبا اختلافا في نوع الحروف الأولى؛ ولذا يعتبر جناسا ناقصا .

---

[1] ديوان ابن بحمان، ص 147 .
[2] نفسه، ص 139 .
[3] عبد العزيز عتيق ، في بلاغة العربية علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د-ط ، د-ت ، ص 197 .
[4] ديوان ابن بحمان، ص 138 .
[5] ديوان ابن بحمان، ص 142 .

كما استعمل جناسا ناقصا في البيت:

لا تعد ولا تفنى خلائقه ولا عجائبه في الحُكم والحِكم [1]

حيث الكلمتين الحكم والحكم اختلفا في شكلها حيث الأولى يقصد بها التسيير والحكم أما الثانية فمن الحكمة.

وفي البيت :

كَالوَرِدِ فِي تَرَفٍ، وَالدُّرِ فِي صَدَفٍ وَالبَدرِ فِي شَرَفٍ وَالبَحرِ فِي

هو جناس بين اللفظتين ترف وشرف وهو جناس ناقص حيث اختلفت اللفظتين في الحروف الاولى.

أثره : قد لجأ الشاعر إبراهيم بن بحمان للجناس الناقص وهذا ما أضفى على التعبير خفة وتأثيرا وجمالًا .

عني الشاعر بالكناية ووظفها في بناء صوره الشعرية وعبر من خلالها عن أفكاره وأحاسيسه الخالجة في نفسه وهي ضرب من التعبير والفن الجميل وتتمثل في لفظ أطلق وأريد به غير معناه الحقيقي ويتضح لنا في البيت التالي:

وَكلُّهُم مِن بُحُورِ عِلمِهِ اغترَفُوا غُرفًا أوِ ارتَشَفُوا رَشفًا مِن الدِّيَمِ[3]

"بحور علمه" كناية عن علمه الواسع كالبحر في وفرته عليه الصلاة والسلام

4) الوزن :

يعد الوزن أساسا قويا في البنية الإيقاعية للشعر، " فإن الأوزان مهما يتقوم به الشعر ويعد من جملة جوهرة [4]، وهو بدوره من أهم مميزات التي يتمتع بها الشعر عن النثر وقارئ لمولديته الشاعر إبراهيم بن بحمان يلاحظ التزامه بالقافية وحرف الروي هنا هو "الميم" استخدم في قصيدته بحر البسيط، نلاحظ في البيت:

[1] ديوان ابن بحمان، ص 145 .
[2] نفسه، ص 145 .
[3] نفسه، ص 144 .
[4] ابن حزم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء: تح محمد ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ط 2، ص 263.

إني رأيت خيال البيت والحَرَمِ في ليلة من ليال الأشهُرِ الحرم [1]

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستُفعلن فعلن

وفي الشطر الأول أي الصدر من بحر البسيط نلاحظ التفعيلة الثانية والرابعة قد طرأ عليها تغيرات وتعرضت للحذف (فاعلن = فعلن) وكذلك في الشطر الثاني أي العجز نلاحظ تغيرات (فاعلن = فعلن) وهذا لا يخل بالموسيقى في البيت .

وقوله أيضًا :

باقٍ عزيز حكيم أول آخر برّ رؤوف لطيف غافر اللّمم[2]

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وفي هذا البيت نجد العلة قد طرأت في نهاية الشطرين الصدر والعجز وتتمثل في التفعيلة الأخيرة (فاعلن = فعلن) .

وفي البيت :

قد نسج العنكبوت والحمام على غارِ وطرقُ من الكفّارِ عنه عمِ[3]

مستفعلن فاعلن متفعلن فعلن مستفعلن فاعلن متفعلن فعلن

هذا البيت قد طرأت عليه عدّة تغيرات على كلا من الشطرين ففي البيت الأول على التفعيلة الأولى (مستفعلن = مستعلن) والتفعيلة الثالثة (مستفعلن = متفعلن) وكذلك في التفعيلة الرابعة (فاعلن = فعلن) . أما في الشطر الثاني كانت في التفعيلة الأخيرة (فاعلن = فعلن) وكل هذه التغيرات لا تخل بالموسيقى بل تضفي عليها نوع من التنوع .

[1] ديوان ابن بحمان ، ص 138 .
[2] نفسه، ص 139 .
[3] نفسه، ص 144 .

المطلب الثاني : التناص بين بردة البوصيري وبردة ابراهيم بن بحمان:

تعريف التناص:

التناص مصطلح نقدي حديث ينتمي إلى مرحلة ما بعد البنيوية، يشكل إحدى آليات التواصل الأدبي الثقافي معا اهتدت إليه فئة أدبية منها: ميخائيل باختين " Bakhtin Mikhail" وجوليا كريستيفا "Kristiva Julia " ورولان بارث "Roland Barthe" في أول عهده، وهم يرون أن النص الأدبي هو إعادة إنتاج وليس إبداع محظ، وأن كل نص معضّد أو قالب لنص آخر سابق عليه أو معاصر له، ونظر إليه قوم آخرون بفلسفة تجلت في التفكيكية ممثلة في جاك دريد "Jacque Derrid" وبارث في آخر عهده[1].

_قامت جوليا كرستيفا في البداية بصياغة التناص وبعدها "جنيت" الذي أكمل وأعاد في صياغته فهو عنده مثل حضور نصين أو اكثر في وقت واحد ،كما يعتبره أيضا حضورا فعليا لنص ما داخل نص آخر ويكون هذا بواسطة السرقة Plagiat، والاستشهاد citation ثم التلميع L'allusion.[2]

_قام إبراهيم بن بحمان بكتابة بردته على منوال بردة البوصيري متأثرا بها كما تأثر البوصيري بابن الفارض؛ قال زكي مبارك عنها: "وأغلب الظن عندي أن البوصيري استأنس عند نظمها بميمية ابن الفارض"[3].

وقد ظهر التناص بشكل كبير بين بردة البوصيري وبردة إبراهيم بن بحمان التميني ودليل ذلك تشابه المطلعين وإن كان هناك اختلاف في البيتين بنسبة لبردة إبراهيم بن بحمان التميني.

- مطلع قصيدة إبراهيم بن بحمان التميني:

إني رأيت خيال البيت والحرم وفي الليلة من ليال أشهر الحرم

بتُ لذاك الخيال ساهراً بهوى والجسم في سقم والقلب في ضرم

[1] - رشيد الفوحان، مذكرة نيل شهادة الماجيستير، جمالية التناص في ديوان البوصيري، جامعة قالمة 8 ماي 1945،ص14

[2] - ينظر: عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص22

[3] - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ب، ط، ص183

ففاض عيني بدمع وابل سجم حر بخدي قد مزجته بدم

كففت دمعي فلم تقلع سحائبه دويت قلبي فلم يشفى من السقم[1]

ومطلع قصيدة البوصيري:

أمن تذكر جبران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبتُ الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من اضم

فما لعينيك ان قلت اكففا همتاً وما لقلبك إن قلت استتق يهم[2]

اشترك الشاعران في: الدمع، والقلب، والحق، مع التغيير في الأسلوب؛ يقول البوصيري:

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ويقول ابن بحمان:

ففاض عيني بدمع وابل سجمٍ حر بخدي قد مزجته بدم

فنلاحظ التشابه في كثير من الألفاظ وفي المعنى مع وحدة الوزن والقافية.

يضيف إلى هذا البوصيري :

يا لائمي في الهوى العذري معذرة

مني إليك ولو انصفت لم تلم

عدتك بحالي لا سر بمستتر

عن الوشاة ولائي بمنحسم

محضتني النصح لكن لست أسمعه

إن المحب عن العذّال في صمم[3]

---

[1] - ديوان ابن بحمان، ص 138

[2] - التجاني المحمدي، الدرة لليتيمة المعروفة بقصيدة البردة، تونس، سنة 1366هـ، ص2

[3] - المرجع نفسه، ص4

يتبعه إبراهيم بن بحمان الثمني :

يا عاذلي في الهوى للبيت معذرة يكفيك مني بما شهدت من ألم

أخلصت نصحا التي لست أسمعه هيهات، هيهات أن أُصغي لمتهم

فظن مني قبول النصح قلت له: إني عن إصغاء للوشاة في صمم[1]

وهنا حافظ إبراهيم بن بحمان على الوزن والقافية مع معارضة البوصيري في المعنى والغرض، "المعارضة في الشعر: هي أن يأتي الشاعر بمثل الشعر الصادر عن شاعر آخر مع المحافظة على الوزن والقافية فإن وافقه في المعنى أيضا فهي المجاراة، وإن خالفه فهي المعارضة "[2]

يليه البوصيري :

محمد سيد الكونين والثقلين والفرقين من عرب ومن عجم

نبينا الآمر الناهي فلا أحد أبرّ في قول لا منه ولا نعم[3]

يتبعه ابن بحمان :

محمد بن عبد الله خير نبي عدنان جد قريش سادة الحرم

محمد سيد فالله شق له من اسمه يسموه على العلم[4]

هنا اشترك الشاعران في كلمة السيد مع المحافظة على الوزن والقافية ونفس الغرض وهو مدح الرسول بأجمل الأوصاف

وواصل البوصيري :

فاق النبين في خَلق وفي خُلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفا من البحر أو رشفا من الدَّيم

---

[1] - ابن بحمان، المرجع السابق،ص138

[2] - شاكر بن بلقاسم الوافي، رحيق الوردة يشرح البردة، منشورات مطبعة الرشيد، تونس، ط1، مارس 2006، ص216

[3] - التجاني المحمدي، المرجع السابق،ص1

[4] - ابن بحمان، المرجع السابق،ص141

وواصل البوصيري مدحه للنبي بأبيات جميلة :

فإنه شمس فضل مع كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

أكرم بخلق نبي رانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم

كالزهر في ترف والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في همم

كأنه وهو فرد في جلا لته في عسكر حين تلقاه وفي حشم

كأنه اللؤلؤ المكنون في صدف من معدني منطق منه وفي حشم

بالدين مستبشر بالحسن مشتمل بالسيف معتصم للحرب محتزم

كالورد في ترف والدر في صدف والبدر في شرف والبحر في كرم

كالنجم في غسق، والشمس في افق والزهر في برعم والدهر في همم

فاق النبيئين في علم وفي كرم ولم يدانوه في حلم وفي حكم

وكلهم من بحور علمه اغترفوا غرفا او ارتشفوا رشفا من الدَّيم[1]

يتبعه ابن بحمان:

محمد زينة الدنيا و ضرتها محمد خير خلق الله كلهم

أعلى الورى حسبا أفضلهم نسبا محمد هو أوفى الناس في الشيم

بالفضل منتظم بالصدق ملتزم بالحق منتصر بالبشر متسم

بالدين مستبشر بالحسن مشتمل بالسيف معتصم للحرب محترم

كالورد في ترف والدُّر في صدف والبدر في شرف والبحر في كرم

كالنجم في غسق والشمس في أفق والزهر في برعم والدهر في همم

[1] - التجاني المحمدي، المرجع السابق ص11

فاق النيئين في علم وفي كرم ولم يدانوه في حلم وفي حكم

وكلهم من بحور علمه اغترفوا غرفا او ارتشفوا رشفا من الدَّيم[1]

الزهر، والبدر، واغترفوا، والبحر، والشمس، والديم، والورد، والنجم؛ كلمات اشترك فيها الشاعران وهنا قام ابن بحمان بمجاراة[2] البوصيري في الوزن والقافية والمعنى مع اختلاف طفيف، وهو أن البوصيري كانت أبياته مجزأة أما ابن بحمان فجمعها في أبيات متتابعة.

يتبعه البوصيري:

أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم

يوم تفرس فيه الفرس انهم قد انذروا بحلول البؤس والنقم

وبات ايوان كسرى وهو ضفدع كشمل اصحاب كسرى غير علنئم

والنار خامدة الانفاس من اسف عليه والنمر ساهي العين من صدم

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها وردوا ردها بالغيظ حين ظمي

كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

والجن تهتف والأنوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم

عموا وصموا فإعلان البشائر لم يسمع و بارقة الانذار لم تشم

من بعدما اخبر الاقوام كاهنهم بأن دينهم المعوج لم يقم

وبعدما عاينوا في الافق من شهب منقضة وفق ما في الارض من ضم [3]

يليه ابن بحمان:

هو النبي الذي كان مولده ببطن مكة في الحرم

1 - ابن بحمان، المرجع السابق،ص142

[2] - شاكر بن بلقاسم الروافي، المرجع السابق ص 216

[3] - التجاني المحمدي، المرجع السابق ص 12

عام أتى الحبشي فيه أبرهة يريد هدما لبيت الله ذي الحرم

دمره الله حيث عاد منهزما بالطين قد طبختا بالنار حين رمي

وفي يوم الاثنين قد جاءت بشارته بطيب عنصره بدئه ومختم

كهانة اخبرت بنور مولده قوما ذوى عمه وهو ذووا صمم

لفارس فرس اياته ظهرت حق قد ارتجفوا البؤس والنقم[1]

وبات كسراهم لصدع دولته وهدم إيوانه من الغم والسقم

ونهره سكنت وناره خمدت من بعد الفين سنين وهي في ضرم

وأهل ساوة إذ غارت بحيرتها باتوا بجهلهم في الغيظ والسرم

والجن تزحف رعيا كل ناحية والشهب تنقض عِبٌّ كل منهزم[2]

كسرى، والنار، وبحيرتها، والغيظ، والجن، والشهب، وكهنة، وأبرهة؛ هذا ما اشترك فيه الشاعران مع وحدة الوزن والقافية والمعنى.

تبعه البوصيري:

جاءت لدعوته الإشجار ساجدة تمشي اليه على ساق بلا قدم

يليه ابن بحمان:

أتت لتصديقه الأشجار حين دعى لها ذلولا على ساق بلا قدم

وهنا قام بن بحمان بمجاراة البوصيري في الوزن والمعنى فكأنها صورتان لعملة واحدة.

ويكمل البوصيري في ذكر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بأبيات جميلة .

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عَمِي

[1] - ابن بحمان،المرجع السابق،ص143،
[2] - المرجع نفسه ص 144

فالصدق في الغار والصدق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم[1]

يليه ابن بحمان :

قد نسج العنكبوت والحمام على غار وطرق من الكفار عنه عم

وأنبت الله بالغار له شجرا كأنه لم يكن بالغار من ارم

نلاحظ هنا ان ابن بحمان قام بتشطير البيت { يقال شطر الشاعر الشعر إذا أضاف الي كل شطر من الشعر غير شطرا من عنده }[2]

يقول ابن بحمان :

قد نسج العنكبوت والحمام على غار وطرف من الكفار عنه عمي

وهنا الصدر للمشطر والعجز للبوصيري .

يتبعه البوصيري:

ايات حق من الرحمان محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم

يليه ابن بحمان :

وكم وكم من آيات السماء له قد اخرقت عادة العرب والعجم

اشترك الشاعران في الوزن والقافية ونجد ان لهما نفس المعنى .

يتبعه البوصيري :

وسل حُنينا بدرا وسل أُحدا فصول خنق له أدهى من الوحم

ابن بحمان:

[1] التجاني المحمدي المرجع السابق

[2] شكار بن بلقاسم الروافي المرجع السابق ص217

فاسأل به خندقاً واسأل به أحداً وأسأل حُنينا وبدر البُوس والنِّقم

أحد، وبدر، وحنين، واسأل.

نلاحظ هنا مجاراة الشاعر بن بحمان للبوصيري نرى تشابه كبير بينهما.

يليه البوصيري :

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت إن الكبائر في الغفران كالهم

يتبعه ابن بحمان :

يا نفس لا تقنطي وجددي عملا ولا زمي توبة الله والتزم

هنا جارا ابن بحمان البوصيري في المعنى: يا نفس لا تقنطي، وقد وجد التناص بشكل كبير في بردة بحمان.

خاتمة :

هكذا نأتي إلى نهاية هذا البحث بتجليات قصيدة المديح النبوي في شعر إبراهيم ابن بحمان من خلال دراسة جمالية وفنية.

وقد اتضح لنا من خلال دراستنا أن الشعر الجزائري القديم قد عرف تطورا وتنوعا في أغراضه كالمدح، والوصف، والغزل، والرثاء، والتصوف والمديح النبوي... وقد توصلنا في الأخير إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نلخصها فيما يأتي:

1- الشعراء الجزائريون قد برعوا في نظم قصائدهم وعدّدوا في الأغراض لكن ضعف التدوين آنذاك كان سبباً في ضياع كثير من قصائدهم.
2- أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام وحب النبّي، كانت من العوامل الأساسية التي دفعت بالشاعر إبراهيم بن بحمان لنظم بردته.
3- كما نجد في هذه البردة تنوعاً في أساليب الإنشائية والمحسنات البديعية وهذا ما يضفي عليها طابعاً من الجمال والرونق.
4- قصيدة البردة في هيكلها العام تخضع في تركيبها إلى بنية ثابتة وهذا راجعٌ إلى جُملة من الأسباب يأتي في مقدمتها الدعوة المحمدية، وصاحب هذه المولودية عليه الصلاة والسلام الذي كان هادياً ونذيرًا، أما من ناحية المضمون فقد لاحظنا أن البردة تتضمن جملة من المعاني من بينها: الحقيقة المحمدية، مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر غزواته...، كما نلتمس فيها الشوق المستمر إلى زيارة قبره وكذا البقاع المقدسة.
5- التغني بالحقيقة المحمدية يمثل جوهراً للإنسان الكامل وما مدى الوازع الديني، ولأنها بثت في الشعراء المادحين للنبي صلى الله عليه وسلم شعوراً عارماً بالحب أصبح الإحساس ثابتاً وهذا الحب منسوبٌ إليه صلى الله عليه وسلم وعُرف بالحب المحمدي.
6- لم يبق ناظمي قصائد المديح النبوي راكدين، بل بحث أصحابها في التبديل والتطوير وهو ما نتج عنه شيوع شعر المولوديات، كما أسهمت عوامل أخرى على انتشاره، منها: الحرص على التمسك بالدين، وانتشار التصوف، وتطور فن المديح النبوي.

7- كانت القصيدة القديمة العمودية (المعيار الأصيل) الذي يقوم على وحدة الوزن والقافية، وهو الإطار الذي آثره الشعراء ونظموا فيه أكثر مولودياتهم، ومثال ذلك بُردة الشاعر إبراهيم بن بحمان.

الملخص :

الشعر الديني من المواضيع الجديدة في الساحة الأدبية الجزائرية وقد تنوعت مواضيعه، ومن مواضيعه الاحتفال بالمولد النبوي الشريف أو ما يعرف بالمولوديات، ومن الشعراء الذين نظموا في هذا النوع إبراهيم بن بحمان التميني الذي نظم قصيدته على منوال بردة شرف الدين البوصيري مادحاً فيها خير البرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

Abstract:

Religious poetry is one of the new topics in the Algerian literary scene, and its topics have varied, and among its topics is the celebration of the Prophet's birthday, or what is known as the Mawlidiyyas, and among the poets who organized in this genre Ibrahim bin Bahman Al-Thamini, who organized his poem along the lines of Barda Sharaf Al-Din Al Busairi, praising the best of the wilderness.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

أ- الكتب:

1) أبو الحازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح محمد ابن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1981م
2) أبو القاسم،سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،دار العرب الاسلامي،ط$_1$،ج$_2$ 1500،1830
3) أحمد موساوي المولوديات في الأدب الجزائري القديم عهد تلمسان الزيانية، موفم للنشر،الجزائر 2008م
4) أسماء خداوي، البنى الأسلوبية في المولوديات ، أبي حمو موسى الزياني الثاني، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري، جامعة وهران1، 2015،2016م.
5) بدوي بطانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة الرفاعي، ط$_3$.
6) التجاني المحمدي،الدرة اليتيمة المعروفة بقيدة البردة، تونس سنة 1966.
7) الخطيب القزوني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوقي ، دار الكتاب العربي ط$_1$،1901.
8) ديوان ابراهيم بن بحمان، تح: يحيى بن بهون حاج امحمد، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007.
9) رشيد الفوحان، رسالة ماجستير، جمالية التناص في ديوان البوصيري، جامعة قالمة 8ماي 1945.
10) زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي،منشورات المكتبة العصرية صيدا،بيروت ،الفصل السابع.
11) سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم 2017/2016 ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف، كلية الآداب واللغات.
12) شاكر بن بلقاسم الروافي، رحيق الوردة، شرح البردة للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ،منشورات مطبعة الرشيد ،تونس ط$_1$ مارس2006م
13) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات،ط$_1$،دار المعارف، القاهرة
14) صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر و التوزيع ،جمهورية مصر العربية،ط$_2$ 2009.
15) عبد السلام محمد هارون،الأساليب الانشائية في النحو العربي،مكتبة الخائحي ط$_5$،القاهرة1421ه،2001م.
16) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
17) عبد القادربقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب

18) عبد الملك مرتاض ،الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) دار هومة، الجزائر2001م
19) فايد العمروسي، محمد سيد المرسلين، دار الشروق، بيروت.
20) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري(د ط) الجزائر العاصمة الثقافية العربية2007م
21) محمد الفحام وأحمد الصباحي،عوض الله حياة و أخلاق الأبيياء ،دار إقرأ بيروت،الرملة البيضاء ط$_2$،1985م.
22) محمد سعيد محمد،دراسات في الأدب الأندلسي،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا،ط$_1$،2001م
23) محمد علي مكي، المدائح النبوية، الشركة المصرية للنشر، ط$_1$، 1991م.
24) معجم إعلام الاباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2000م.
25) منير البعليكي، حياة محمد ورسالته، دار العلم للملايين ،بيروت ط2، 1980.

ب- الدوريات

1) جميلة معتوق، المولوديات النبوية في المديح النبوي الجزائري القديم وسماتها الفنية،مجلة رفوف،مجلد6،ع$_1$.
2) حفيظة زني، النقد الأدبي عند أبي القاسم سعد الله من خلال موسوعة " تاريخ الجزائر الثقافي" مجلة العلوم الانسانية،ع44.
3) رحمة بنت أحمد الحاج عثمان وعبد الحليم سامي، مظاهرات التأثر والتأثير في شعر المدائح النبوية، حولية الجامعة الاسلامية العالمية.
4) عبد اللطيف في المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، كلية الآداب واللغات، العددان العاشر والحادي عشر.
5) كفايت الله الهمداني محمد ،نشأت المديح النبوي عند الشعراء العربيين الباكستانيين،مجلة القسم العربي.
6) يعلاوي محمد، قصائد الرثاء في الشعر الجزائري القديم، العدد 19ديسمبر 2013م.

قصيدة البُردة

بسم الله الرحمن الرّحيم

صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليمًا

الحَمْدُ للهِ الذِي أَلهَمَنَا اختِزالَ النَّظمِ مِن الكَلِمِ المنثُورِ، وَأَفَاضَ عَلَينَا سِجَالَ تركيبِ الألفاظِ منَ الرِّقِّ المنشُورِ، والصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ على من سَبَقَت عِنايَتُهُ قبل الوجودِ في الكتابِ المسطُورِ، سيِّدِنا وَمَولاَنَا وَنبيئِنَا مُحَمَّدٍ ρ وَعَلَى آلِهِ وصَحبِهِ، مَا سَبَّحَ الفُلكُ في البَحْرِ المسجُورِ، وبعد فقد هَمَمتُ بمُضيّ أن أسبِكَ في قالب البُرْدَةِ[1] السبيكة من الوديلة، وأن أنسج على منوالها قصيدة محويّة على الثناء للباري سبحانه ولخير البريّة، فعاقني عن ذلك أمرٌ بعد أمرٍ، حتَّى طويتُ عنه كشفًا، ومنَعَنِي عنه شغلٌ بعد شغلٍ حتّى ضَربتُ عن أثرِهِ صفحًا، فاندرس منّي ما تعلّمته في صِغَرِي فصارَ شَجرة بلا ثمرٍ، وانطَمَسَ ذلكَ كلّ الانطِماسِ، فعَادَ جَدالة[2] بِلا أثرٍ، ثمّ إنّ الله سُبحانه قدّر لي بعد مُضيِّ مدّة طويلة في المنامِ خيالاً قد رأيتُهُ في شأن بيتِ الله الحرامِ، وألبسني به من الغرامِ سربلاً، وإنَّ في رؤيتِي له لعجبا، وَلِكُلِّ شيءٍ قد جعل الله له سببًا، فاختلست لِما همَّنِي أوَّلا من الزمان فرصة فانتهزتها وجدَّدتُ لعهدِهِ القديم من الليل آونةً، فأفرغتُ في قالب النظمِ اللؤلؤةَ المنظُومة، وأسكبت في خاتم الرَّصفِ الدُّرة المكنونةَ قصيدة قد اشتملت على ثناء الله تعالى ببعض أسمائه الجليلة، وصفاته الكريمة، وأفعاله الجميلة، وعلى سيدنا ومولانا محمد ذي النِّسمَة القُدُسِيَّة، وعلى آله ذوي النُّفوس الزَّكيَّة، وأصحابه ذوي الخصال الحميدة، رجاءً من الله سبحانه جزيل الأجرِ، وغفران ذنُوبِي وذُنوبَ من صلَحَ من والديَّ وأشيَاخِي وعامَّةِ المسلمين والمسلمات ببركةِ صاحبِ الكوثر، وقد صَدَرَ ذلك منِّي مع كثرةِ الأشغالِ والدَّعَاوِي، وجُمُودِ فِطنتي وخُمُودِ قَرِيحَتِي، وقِلَّةِ بضاعتي، وَلَمَّا أَنِّي ما رأيت أحدًا من السَّلف الصالح ــرحمهم اللهــ حامَ حول هذا الشَّأن وأشار إليهِ إشارةً مَا وَلو بالبَنَان[3] فقلت بعد بسم الله الرحمن الرحيم: (بحر البسيط)

1. إنِّي رَأَيتُ خَيَالَ البَيتِ وَالحَرَم في لِيلةٍ من لَيَالِ الأَشهُرِ الحُرُم
2. بِتُّ لِذَاكَ الخَيَالِ سَاهِرًا بِهَوًى والجسمُ في سقمٍ والقَلبُ في ضَرَم
3. فَفَاضَ عَينِي بِدَمعٍ وَابِلٍ سَجِمٍ حَرٍّ بِخَدِّي قد مَزَجتُهُ بِدَم
4. كَفَفتُ دَمعِي فَلم تَقلَع سَحَائِبُه دَويتُ قَلبِي فلم يَشفَ من السَّقَم

[1] – يقصد نضمها على منوال بردة البوصيري.

[2] – الجدلُ: الفَتلُ. اللسان، ج11، حرف اللاّم، فصل الجيم، ص102.

[3] – فعلاً لا يوجد فيما بين أيدينا إلى اليوم من أهل مذهب الشيخ (أعني الإباضية)، من نَظَم في فنّ البردة قبله أو سبقه إلى شرحها قبله، بل فعل مثله قطب الأئمة الشيخ بن يوسف أطفيش بعده بعقود.

5. يـا عَـاذِلِي في الهَـوَى للبيـتِ مَعـذِرَةً يكفِيـكَ مِـنِّي بِمَـا شَـهِدتَ مِـن أَلَمِ
6. أَخلَصْـتَ نُصـحًا إِلَيَّ لسـتُ أَسمَـعُهُ هَيهَـات هيهـاتَ أَن أَصـغَى لِمُـتَّهِم
7. فَظَـنَّ مِـنِّي قَبُـولَ الـنُّصحِ قُلـتُ لـه: إِنِّي عـن إِصـغاءٍ للوُشَـاةِ فِي صَـمَم
8. فَقَائِـلٌ قـال لِي: أَصـبِر، قلـتُ لـه: أَعُـوذُ بـالله لـيس الصَّـبرُ مِـن شِـيم
9. وقائلٌ: كيف حالُ القلبِ؟ قلتُ: ضَنَى وقائلٌ: كيف حالُ الطَّرفِ؟ قلت:عَمِ!
10. وقائلٌ: كيف حال الوُجدِ؟ قلت لـه: إِنِّي شَـغَفتُ بِبَيـتِ الله والحَـرَم
11. إن تُنكِـرِ الحُـبَّ للبيـتِ فَقَـد شَـهِدَت عَلَيـكَ مِنـكَ عُـدُولُ الـدَّمعِ والسَّـقَم
12. عَهـدِي قريـبٌ بـه إن مُـدَّ فِي عُمُـري وَحَقَّـقَ الله مـا فِي القَلـبِ مِـن هِمَـم
13. فـإِنَّ لِي هِمَّـةٌ بـالله عـزَّ عَـلا تَسـمُو وَتَعلُـو عُلُـوَّ الـنَّجمِ والعَلَـم[1]
14. صَـرَفتُ تِلقَـاءَ مَديَـنَ[2] لَهـا فَرَسِـي فَقُلـتُ فِي حَـقِّ رَبِّيَ الوَاحِـدِ الحَكَـم
15. إليـكَ حمـدٌ إِلآهِـي جـلَّ عـن مَثَـلٍ، رَبُّ الخلائـقِ ذُو العـزَّةِ والحِكَـم
16. اللهُ مولانـا عَـزَّ ذِكـرُهُ وَسَمَـى أَحلَـى علـى أَلسِـنَةٍ مـن عَسَـل بِفَـم
17. إِلهُنَـا واجـبُ الوُجـودِ مُنفَـرِدٌ مُخالـفٌ للـوَّاتِ ثابِـتُ الـقِدَم
18. بَـاقٍ عزيـزٌ حكـيمٌ أَوَّلٌ آخـرٌ بَـرٌّ رَؤُوفٌ لطِيـفٌ غـافِرُ اللِّمَـم
19. حـقٌّ إلـهٌ علـيمٌ قـادرٌ صـمَدٌ حَـيٌّ سميـعٌ بصـيرٌ بـارئُ النِّسَـم
20. مُهيـمِنٌ مُـومِنٌ مُقَـدَّسٌ بَطِـنٌ فَـردٌ سـلامٌ حكـيمٌ بـاعثُ الرِّمَـم
21. حـقٌّ إلاهٌ عَلِـيمٌ قـادرٌ صَـمَدٌ مُعطـي وَدُودٌ كَـرِيمٌ بـاسِطُ الـنِّعَم
22. عَـدلٌ مُريـدٌ جليـلٌ شـأنُهُ مَلِـكٌ ربٌّ حمِـيدٌ رَقِيـبٌ رَازِقُ الـنِّعَم
23. نـورٌ خَبِـيرٌ حفـيظٌ مـانِعٌ أَحَـدٌ عـالٍ ودُودٌ مُحـيطٌ بـاسِطُ الـنِّعَم
24. والٍ كبـيرٌ وكيـلٌ خـافضٌ مَجِـدٌ هـادٍ شـكورٌ رفيـعٌ واسـعُ الكـرَم
25. مُعطِـي قـويٌّ عظـيمٌ جـامعٌ مـتِنٌ مُحصِي حَسيبٌ مُقيتٌ كاشِفُ الظُّلم
26. مُبـدِي مُعيـدٌ مُحِـيطٌ نـافعٌ رحِـمٌ ضَـارٌ شهيـدٌ غـنيٌّ خـالقُ الأُمَـم
27. مُحيِـي مُميـتٌ مُجِيـبٌ مُقسـطٌ وَرِثٌ مُصَـوِّرٌ مُبـدِعُ الكـونِ مـن العَـدَم

---

[1] – مثال رائع في علوّ الهمّة واليقين، وهو من خصال المؤمن الصادق.

[2] – لاحظ تأثره بأسلوب القرآن الكريم، فهو تارة يقتبس وأخرى يُضمّن وهكذا..

28. نِعـــمَ النَّصـــيرُ ونعـــمَ اللهُ خالقُنَـــا عـــزَّ وَجـــلَّ عـــن القَـــرِينِ في الحِكَـــم

29. رَبٌّ مُعِـــزٌّ عفُـــوٌّ قـــائمٌ ظهِـــرٌ جبَّـــارٌ حـــالِي وَهُـــوبٌ لِي بِـــلا نَـــدَم[1]

30. ربٌّ مُـــذِلٌّ عزيـــزًا، فاتـــحٌ ســـبُلاً وقَاهـــرٌ للـــعبادِ، ســـاتِرًا حُـــرَم

31. حشـــاهُ ثم حشـــاهُ أن يَـــكون لـــهُ كُفـــؤٌ شبيـــهٌ، تعـــالى اللهُ عـــن حُـــرَم

32. منَـــزَّهٌ عـــن شـــريكٍ في عبَادتِـــهِ وفي كمَالاتِـــهِ وصُـــنعِهِ القِـــيَم

33. فَـــذَاتُ مـــولايَ لا يُـــدركُها بَصَـــرٌ دُنيًـــا وأُخـــرَى ولم تَـــرَ ولم تُـــرَم

34. فكيـــفَ يبـــلُغُ كُنـــهَ ذَاتِـــهِ أحَـــدٌ قـــد حـــارَ في نَفسِـــهِ الوَسـيمِ بِـــاللِّمَم

35. أَم كَيـــف تُـــدرَكُ وهـــوَّ لا نَظـــيرَ لـــهُ سُـبحانهُ جَـلَّ عـن مَقالَـةِ الخَصِـم[2]

36. لا تخفـى عـن علمـه بعوضـةٌ صـغُرَت كَحَبَّـــةٍ خـــردلاً فِي حَالـــكِ الظُّلـــم

37. بِكُـــلِّ شَـــيءٍ عَلِيـــمٌ أزلاً أبـــدًا بكُـــلِّ شـــيءٍ قَدِيـــرٌ خَـــالِقُ الأُمَـــم

38. بِمُطلَـــقِ الممكِنَـــاتِ كلِّهـــا صـــلُحَت تَعـــلُّقًا قُـــدرَةُ المصـــوِّرِ النِّسَـــم

39. فَقُـــدرَةُ اللهِ بِالمحـــدَثِ صـــالِحَةٌ وِفـــقَ إرادَتـــهِ للجِـــلِّ واللَّمَـــم

40. مدبِّـــرٌ لأُمـــورٍ لا مَـــرَدَّ لهـــا سُبحانَـــهُ مِـــن إلـــهٍ مُـــولِي الـــنِّعَم

41. فَلَـــن تَجِـــد أبـــدًا فـــي مُلكِـــهِ خلَـــلاً فـانظُر بِعَقلِـكَ مـا في الخلـقِ مـن حِكَـم

42. لَـــهُ التَّصـــرُّفُ كَيـــفَ شـــاءَ في خَلقِـــهِ تَعـالى عـن سِـنَةٍ فَضـلاً عَـن أَن يَـنَم[3]

43. وَكُـلَّ شَـيءٍ علـى الإطـلاقِ فهُـو لـهُ حقيقـــةً، شـــاهدٌ بالواحِـــدِ الحَكَـــم

44. قَـــد أبـــدَعَ الخلـــقَ وَالسَّـــمَاءَ زيَّنَـــهُ بِنَيِّـــرٍ ثاقِـــبٍ غَيَاهِـــبِ الظُّلَـــم

45. أســـقى مَهَامِـــهَ غُبْـــرًا مَيتًـــا بَلَـــدًا بِالجَـــوْنِ دانٍ ربـــابُهُ وبالـــدِّيَم

46. مـــن هيكـــلٍ مشـــرفٍ مَـــاءً قَـــد أَنزَلَـــهُ عَذبًـــا فُراتًـــا لِكُـــلِّ شَـــارِبٍ بِفَـــم

---

[1] – هذه الأبيات يُحصي فيها الشيخ أسماء الله الحسنى بوصف بديع، وهو ما دعاه بعد ذلك لشرحها في كتاب خاص، سماه: الجواهر الثَّمينيَّة على المنظومة الميميَّة.

[2] – تأكيد وإشارة من الشيخ إلى اعتقاد مذهبه الإباضي الذي ينفي رؤية الله في الدنيا والآخرة.

ينظر بتفصيل أكثر: عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية. نشر جمعية التراث، القرارة، ط1، 1989، ص68.

[3] – تضمين لقوله تعالى في آية الكرسي . [لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم...] البقرة: 255.

47. أَخــرَجَ بِالمِــاءِ أثمَــارًا قَــد اختَلَفَــت أَلوَانُهَــا كاختِــلاَفِ الزَّهــرِ بــالأَكَم

48. يُنشِــي الثِّمَــارَ بِــهِ، وَالــبَعضُ فَضَّــلَهُ مِنهَــا عَلَــى الــبَعضِ عِنــدَ الأكــل للــنَّهم[1]

49. يُرسِــي الجِبَــالَ وَيُبــدِي دَائمًــا شَــأنًا بِكُــلِّ يَــومٍ، ويُــحيِي دَارِسَ الــرِّمَم

50. يُغــنِي الــذِّي قَــد أَرَادَ فَقــرَهُ وَكَــذَا مــن شَــاءَ يُغــنِي، وَيُعطِيــهِ بِــلاَ نَــدَم

51. مَــا بِالسَّــمَاءِ العُلَــى للخَلــقِ سَــخَّرَهُ مِــنَ النُّجُــومِ، وَمَــا فِي الأَرضِ مِــن نعَــم

52. مَــن شَــاءَ يَغفِــر لَــهُ بِفَضــلِهِ وَكَــذَا مَــن شَــاءَ عذَّبَــهُ، بِعَدلِــهِ القَــيمِ

53. يَكفِيــكَ مِنــكَ عَلَيــكَ ءايَــةٌ شَــهِدَت بِــالانفِرَادِ لِــذِي الجَــلاَلِ وَالكَــرَم

54. هَــذَا وَإنَّ صَــنِيعَ الله لَــيسَ لَــهُ حَــدٌّ فيُفصِــحَ عَنــهُ نَاطــقٌ بِفَــم

55. رَبِّي عَلَيــكَ اعتِمَــادِي لاَ عَلَــى أَحَــدٍ فِي مَــدحِ أَحمَــدَ خَــيرِ العُــربِ وَالعَجَــم

56. مُحَمَّــدٍ ابــن عَبــدِ الله خَــير نَــبِيٍّ عَــدنَانَ جَــدِّ قُــرَيشٍ سَــادَةِ الحَــرَم

57. مُحَمَّــدٌ سيِّــدٌ فَاللَّــهُ شَــقَّ لَــهُ مِــن اسمِــهِ سَمِيًّــا يَسمُو عَلَــى العَلَــم

58. مُحَمَّــدٌ حامِــدٌ وَفَضــلُهُ انتَشَــرَا فِي سُــورَةِ الحِجــرِ وَالأحــزَابِ وَالقَلَــم

59. مُحَمَّــدٌ خِيــرَةُ اللَّــهِ عِنَايَتُــهُ قَبــلَ الوُجُــودِ جَــرَت فِي اللَّــوحِ بِــالقَلَم

60. مُحَمَّــدٌ صَفــوَةُ الله وحَــبَّ بِــهِ مُحَمَّــدٌ قَائِــدٌ للخَــيرِ ذُو الكَــرَم

61. مُحَمَّــدٌ زِينَــةُ الدُّنــيَا وَضَــرَّتُها مُحَمَّــدٌ خَــيرُ خَلــقِ الله كُلِّهِــم

62. أَعلَــى الــوَرَى حَسَــبًا أفضــلُهُم نَسَــبًا مُحَمَّــدٌ هُــوَ أوفَى النَّــاسِ فِي الشِّــيَم

63. بِالفَضــلِ مُنــتَظِمٍ بِالصِّــدقِ مُلتَــزِمٍ بِــالحَقِّ مُنتَصــرٍ، بِالبِشــرِ مُتَّسِــم

64. بِالــدِّين مُستَبشِــرٍ، بِالحُسنِ مُشــتَمِلٍ بِالسَّــيفِ مُعتصِــمٌ لِلحَــربِ مُحتَــزِم

65. كَــالوَردِ فِي تَــرَفٍ، وَالــدُّرِ فِي صَــدَفٍ وَالبَــدرِ فِي شَــرَفٍ وَالبَحــرِ فِي كَــرَم

66. كَــالنَّجمِ فِي غَسَــقٍ، وَالشَّــمسِ فِي أُفُــقٍ وَالزَّهــرِ فِي بُــرعُمٍ، وَالــدَّهرِ فِي هِمَــم

67. فَــاقَ النَّبِيئِــينَ فِي عِلــمٍ وَفِي كَــرَمٍ وَلَــم يُــدانُوهُ فِي حِلــمٍ وَفِي حِكَــم

68. وَكلُّهُــم مِــن بُحُــورِ عِلمِــهِ اغترَفُــوا غُرفًــا أوِ ارتَشَفُــوا رَشــفًا مِــن الــدِّيَم

---

[1] – اقتباس من الآية الكريمة من سورة الرعد. [وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرعٌ ونخيلٌ صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعضٍ في الأكل، إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون].الرعد: 4.

69. فَإِنَّــهُ قُطــبُ فَضــلٍ هُــم دَوَائِــرُهُ وَبَــدرُ تَــمٍّ وَهُــم كَوَاكِــبُ الظُّلَــم

70. لَكِــنَّهُم خِــيرَةُ اللهِ العزيــزِ فَمَــا فَضــلُ النَّــبِيءِ عَلَــيهِمُ ضَــائِرًا بِهِــمُ

71. كَالــدُّرِّ يَــزدَادُ حُســنًا وهــو مُبــتهِجٌ إِن كَــانَ مُنتَظِمًــا أَو غَيــرَ مُنــتَظِم

72. نَعَــم وَقَلــبِي شَــديدُ الوُجــدِ ذَا شَــغَف بِــذِكرِ مَــن هُــوَ أَوفَى الخَلــقِ فِي الــذِّمَم

73. السِّــيدِ المِصــطَفَى الطَّــاهِرُ الشِّــيَم المُفَخَّــمُ المِجتَــبَى الطَّيِّــبِ النِّسَــم

74. هُــوَ السَّــفِيطُ وَكُــلُّ الفَضــلِ حَــازَ عَلَى كُــلِّ نبِيــءٍ وَفَــازَ بِأَوضَــحِ اللُّــقَم

75. هُــوَ الــذِّي هُــوَ فَــردٌ فِي جَلاَلَتِــهِ هُــوَ الــذِّي لَــيسَ بِالغَيــبِ بِمُــتَّهَم

76. مُزَمِّــلٌ كَرَمًــا، مُــدَثِّرٌ شَرَفًــا مُســربَلٌ رِفــعَةً، مُقَــدَّسُ الهِمَــم

77. مُــتَمَّمٌ صُــورَةً، مُطهَّــرٌ شِــيمًا حَــتَّى غَــدَا فِي الــوَرَى كــالمفرَدِ العَلَــم

78. سَمــحُ الخَلاَئِــق، جُــودُ الكَــفِّ بَاسِــطُهُ سَــهلُ المِكَــارِمِ، طَيِّــبُ الفِعــلِ وَالشِّــيَم

79. فَقَــد فَشَــى ذِكــرُهُ فِي الخَلــقِ وَانتَشَــرَا وَقَــدرُهُ قَــد عَــلاَ فِي الأَرضِ كَــالعَلَم

80. قَــد كَــانَ أَخــوَفَ خَلــقِ اللهِ وَأَكمَلَهُــم بِــهِ، وَأعلَمَهُــم بِــاللهِ ذِي النِّعَــمِ

81. فَانسُــب إِلَى مَجــدِهِ مــا شِــئتَ مِــن كَــرَمٍ كَــالبَحرِ مَــا شِــئتَ قُــل فِيــهِ بِــلاَ سَــأَمِ

82. فَعَــدُّ قَــدرِهِ لاَ يُحصَــى لوَاصِــفِه وَنَــيلُ جــودِهِ فِي نِهَايَــةِ العِظَــم

83. أَرسَلَــهُ رَبُّنَــا رُحمًــا لأُمَّــتِهِ بِــالحَقِّ ثُمَّ الهُــدَى وَدِينِــهِ القَــيِّمِ

84. نِعــمَ الرَّسُــولُ وَنِعــمَ اللهِ مُرسِــلُهُ نِعــمَ النَّــبِيُّ نَــبِيءُ الخَيــرِ وَالكَــرَم

85. أَتَــاهُ جِبرِيــلُ مِــن عِنــدِ الــرَّحِيمِ بِنَــا بِمُحكَــمِ الــذِّكرِ وَالآيَــاتِ وَالحِكَــمِ

86. آيَــةُ صِــدقٍ مِــنَ الرَّحمَــانِ مُعجِــزَةٌ مَوصُــوفَةً بِخُــدُوثِ المِعــنَى وَالكَلِــمِ

87. مَقرُونَــةٌ بِزَمَــانٍ قَــد تَــحَدَّ بِهَــا إِلآهُــنا فُصَــحَاءَ الحِــلِّ وَالحَــرَم

88. قَــد حدَّهُــم ربُّنــا بمثــلِ سُــورها فَعجَــزوا عَمَهًــا عُميًــا بِــلا خَصَــم

89. رَدَّت فَصــاحَتُها دَعــوَى مُعَارِضِــها مِــن مِصقَعِ النَّاسِ مِــن عُــربٍ وَمِــن عَجَــم

90. فَلِجزَالَتِهَــــــا وَلِبَلاَغَتِهَــــــا تُعطِــي لِقَارِئِهَــا مَعــنًى بِــلاَ سَــدَمِ

91. وَكُلُّهَــــا لِنَبِــــيءِ اللَّــــهِ مُعجِــــزَةٌ فَاقَــت عَلَــى مُعجِــزَاتِ الرُّسُــل لِلأُمَــمِ

92. هُـوَ النَّـبِيءُ الـذِي قَـد كَـانَ مَولِـدُهُ بِـبَطنِ مَكَّـةَ عَـامَ الفِيـلِ[1] فِي الحَـرَم

93. عَـامَ أَتَـى الحَبَشِـيُّ فِيـهِ أَبرَهَـةً[2] يُرِيـدُ هَـدمًا لِبَيـتِ اللهِ ذِي الحُـرَمِ

94. دمَّـرهُ اللهُ حَيـثُ عَـادَ مُنهزِمًـا بِـالطِينِ قَـد طُبِخَـت بِالنَّـارِ حِـينَ رُمِـى

95. فِي يَـومِ الاثنَـينِ قَـد جَـاءَت بِشَـارَتُهُ بِطَيـبِ عُنصُـرِ بَدئِـهِ وَمُختَـتَمِ

96. كَهَانَـةٌ أَخبَـرَت بِنُـورِ مَولِـدِهِ قَومًـا ذَوِي عَمَـهٍ وهُـم ذَوُوا صَـمَم

97. لفَـارِسٍ فُـرُسِ آيَاتُـهُ ظَهَـرَت حَقًّـا قـد ارتَجَفُـوا البُـؤسِ وَالـنِّقَم

98. وَبَـاتَ كِسْـرَاهُمُو لصَـدعِ دَولَتِـهِ وَهَـدمِ إِيـوَانِهِ فِي الغَـمِّ وَالسَّـقَم

99. وَنَهـرُهُ سَـكَنت ونَـارُهُ خَمَـدت مـن بَعـدِ ألـفِ سـنينَ وَهـيَ فِي ضَـرَم

100. وَأهـلُ سَـاوَةَ إِذ غَـارَت بُحيرَتُهـا بَـاتُوا بِجَهلِهِـمُ فِي الغَـيظِ والسَّـدَم

101. وَالجِـنُّ تَزعَـقُ رُعبًـا كُـلَّ نَاحِيَـةٍ وَالشُّـهبُ تَـنقَضُّ غِـبَّ كُـلِّ مُنهَـزِم

102. وَكُـلُّ ذَلـكَ تَحقِيـقٌ لِنُبُوَّتِـهِ وَنُـورِ مِـيلادِهِ الثَّاقِـبِ كَالعَلَـم

103. قَـد فُـضَّ مِنـه ـبِغَـيرِ الاختِلاَلِ بِـهـ صَـدرٌ زَكـيٌّ عَـنِ المعبُـودِ لَم يَـنَم

104. فَغَسَـلَ القَلـب منـهُ ـوَهوَ فِي صِـغَرٍ ـ ثَلاَثَـةٌ قَـبلَ أَن مُـلِّأَ بـالحِكَم

105. أَتَـت لتَصـدِيقِهِ الأَشَـجارُ حِـينَ دَعَـى لَـهَا ذُلُـولاً عَلَـى سَـاقٍ بِـلا قَـدَمِ

106. تَسـعَى لِحَاجَتِـه فِي الاسـتِتَارِ بِهَـا سَـعيَ الحَجِيـجِ بِبَيـتِ اللهِ وَالحَـرَمِ

107. قَـد نَسَـجَ العَنكَبُـوتُ وَالحَمَـامُ عَلَـى غَـارٍ وَطَـرفٌ مِـنَ الكُفَّـارِ عنـهُ عَـمِ

108. وَأَنبَـتَ اللهُ بِالغَـارِ لَـهُ شَـجَرًا كَأَنَّـهُ لَم يَكُـن بِالغَـارِ مِـن إِرَمِ[3]

109. بِـبَطنِ رَاحَتِـهِ قَـد تَسَـبَّحَت، وَرَمَـى حَصَـى بِيَـومِ حُنـينٍ[4] طَـرفَ مُنهَـزِمِ

110. كَـذَا بِبَـدرٍ[5] وَفِيـهِ ثَمَّ فِـي أَمْكِنَـةٍ أَمَـدَّهُ اللهُ بِأَمـلاَكٍ ذَوِي كَـرَمِ

111. أَحْـيَ المـوَاتَ، وبَعـضُ الطَّـيرِ كَلَّمَـهُ وَالجِـدعُ حَـنَّ وَلاَنَ الصَّـخرُ للقَـدَمِ

---

[1] – هكذا في السيرة، كان مولد رسول الله عام الفيل، حين أقدم أبرهة الأشرم من اليمن بالفيل "محمود" ليهدم الكعبة المشرفة، والقصّة مبثوثة في كتب السيرة، وقد نزل في شأنها قرآن يُتلى في سورة الفيل.

[2] – أبرهة الأشرم ملك اليمن الحبشي، حاول هدم الكعبة عام 571م مستخدمًا الفيلة في القتال، وسمّي ذلك العام بعام الفيل، وبه يؤرّخ لمولد الرسول.

[3] – يريد كأن لم يكن قد نبت منذ حقبٍ طويلة كعهد إِرَمَ ذاتُ العِمَادِ. وهي كناية عن القِدم.

[4] – حنين: واد قرب مكّة، يريد غزوة حنين وما شاهد فيه الصحابة من كرمات نبينا عليه السلام.

[5] – بدر: موضع ماء مشهور بين مكّة والمدينة. منه إلى المدينة سبع بُرُدٍ، حيث شهد يوم الفرقان والغزوة الكبرى.
ينظر: معجم البلدان، ج1،ص284. ويقصد الغزوات وليس الأماكن. إذ قوله اليوم هو الموقعة.

112. الظَّبْـــيُ صَـــدَّقهُ وَالطَّـــيرُ كَلَّمَـــهُ كَـــذِرعِ مَسمُومَـــةٍ فِي أَكلِـــهِ بِفَـــم

113. وَفِي كَـــلاَمِ الحِمَـــار وَالبَعِـــيرِ لَـــهُ ءايَـــةُ حَـــقٍّ مِـــنَ الـــرَّحمَنِ ذِي الـــنِّعَم

114. أَرْوَى الأَنَـــامَ بِمَـــاءٍ مِـــن أَصَابِعِـــهِ فِي غَـــيرِ مَـــا مـــرَّةٍ كَالصَّـــوبِ بـــالعَرِم

115. كَـم أبـرَأت يـدُهُ بـاللَّمسِ مـن وَصَـبٍ وَدَعـــوَةٍ أَحيَـــت الشَّـــهبَاءَ بالـــدِّمَم

116. وَكَـمْ وَكَـمْ مِـنَ آيَـاتِ السَّـمَاءِ لَـهُ قَـد أَخرَقَـت عَـادَةً لِلعُـربِ وَالعَجَـم

117. فَـــلاَ تُعَـــدُّ وَلاَ تُفـــنَى خَلاَئِقُـــهُ وَلاَ عَجَائِبُـــهُ فِي الحُكـــمِ وَالحِكَـــمِ

118. مُحَمَّـــدٌ ضَيغَـــمٌ مُحَمَّـــدٌ أَسَـــدٌ لَيـــثٌ تُـــهَابُ لَـــهُ أُسَامَـــةُ الحَـــرَمِ

119. غَضَنـــفَرٌ لِبِـــدٌ مُقَـــذَّفٌ بَطَـــلٌ ذِمـــرٌ بِسَـــهمٍ رَمَـــى جَمَـــاجِمَ البُهَـــم

120. بِالسَّـيفِ يَـومَ الـوَغَى أَبَـانَ هَـامَ عِـدًى بـالبِيضِ قَـد قَـامَ فَتكًـا سَـاحَةَ القِمَـم

121. لَيـثٌ، لُيُـوثُ الصَّـفَى إِن تَلقَـهُ بَسِـلاً فِي كُـلِّ حَـربٍ وَفِي آجَامِهَـا تجِـمِ

122. أَزَالَ بِـــالرُّمحِ كُفـــرَ الكَـــافِرِينَ بِـــهِ مِـــن كُـــلِّ قَـــومٍ يُرِيـــدُ نُصـــرَةَ الصَّـــنَم

123. فَقَـــد غَـــزَى سَـــبعَةً وَعَشـــرَةً وَكَـــذَا عَشـــرًا بِذَاتِـــهِ ذَاتِ المجـــدِ وَالكَـــرَم

124. فَسأَل بِـهِ خَنـدَقًا[1] وَاسـأل بِـهِ أُحُـدًا[2] وَاســأل حُنَينًـــا وَبَـــدرَ البُـــوسِ وَالـــنِّقَم

125. وَاســأل بِـــهِ خَيْبَـــرًا[3] وَاسَـــأل حُدَيبِيَـــةً[4] بِـــالفِتحِ أَســـقَى قُرِيشًـــا أَلَمَ الـــوَغَم

126. فَاثنَتَـــا عَـــشرَةٌ كانـــت لـــهُ امـــرأَةً[5] خَدِيجَـــةُ، عَيشَـــةٌ، أُمُّ ذوِي السَّـــلَم

127. فَحَفصَـــةٌ زَينَبَـــان سَـــودَةٌ وَكَـــذا صَـــفِيَّةُ بِنـــتُ حُيَـــيٍّ سَـــيِّد الـــعَجَمِ

128. رَيحَانَـــةٌ، رَملَـــةٌ، وَمَيمونَـــةٌ وَكَـــذَا هِنـــدٌ جُوَيرِيَـــةُ طَيِّبَـــةُ الشِّيَـــمِ

129. فَقَـــاسِمٌ، زَينَـــبٌ، فَبَعـــدُ أُرقِيَـــة فَاطِمَـــةٌ طَـــيِّبٌ وَطَـــاهِرُ النَّسَـــمِ

130. وَأُمُّ كَلثُـــومٍ مِـــن خَدِيـــجَةٍ وَلَـــهُ بُـــرِيهِمٌ سَـــيِّدًا مِـــن أَحسَـــنِ الخَـــدَمِ

131. خَلِـــيفَةٌ بَعـــدَهُ خَـــيرُ صَحَابَتِـــهِ ثَانِيـــهِ[6] بِالغَـــارِ حَقًّـــا وَافِيَ الـــذِّمَم

---

[1] – الخندق: الذي حفر حول المدينة، برأي من سلمان الفارسي لصدّ هجوم الأحزاب. معجم البلدان، ج2،ص250.

[2] – أُحد: الجبل حيث وقعت الغزوة، جبل أحمر بينه والمدينة قرابة الميل شمالا. معجم البلدان، ج1،ص95.

[3] – خيبر: حصن على ثلاث بُرُدٍ من المدينة في الطريق إلى الشام تحوي ثمان حُصون ومعناها بالعبرية الحِصن، معجم البلدان، ج2، ص263.

[4] – الحديبية: قرية صغيرة، سمّيت ببئر هنالك عند مسجد الشجرة، بينها ومكّة مرحلة، وبينهما والمدينة تسعة مراحل. معجم البلدان، ج2، ص126.

[5] – يقصد من هنَّ في عصمته أي زوجاته.

[6] – اقتباس من قوله تعالى، وتمام الآية. [إلاّ تنصروه فقد نصره الله، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه] التوبة: 40.

132. وَبعـدَهُ عُمَـرُ الفَـارُوقُ قَـد ثَبَتَـت لَـــهُ مُوافَـــقَةُ القُـــرآنِ فِي الحِكَـــم

133. فَالصَّـــحبُ بعـــدُهُما، إنَّ مَعـــارِكُهُم سُـودٌ وحُمـرٌ نِصَـالُهُم مِـن النِّقَـمِ

134. للَّـهِ هُـم مـا هُـمُ وهُـم بيـومِ الـوغَى لِيُـوثُ حَـربٍ، وَأبطَـالٌ ذَوُوا قَـثَم

135. فِي الله قَـد جَاهَـدُوا للحَـربِ مَـا جَمَعُـوا بِـالبِيضِ قَـد فَتَكُـوا جُمَّـةَ كُـلِّ كَـمِ

136. كَـأنَّهُم زَهـرُ رَوضـةٍ عَلَـى فـرسٍ يـومَ قِـرَاعِ العِـدَى بِالسُّـمرِ فِي القِمَـم

137. عَالِيـــهِمُ حُـــلَلُ القَنَـــى مُطَـــرَّزَةً بِحُمـــرَةٍ مـــن دَمٍ كَحُمـــرَةِ العَنَـــم[1]

138. فَكَـم وَكَـم وَقعَـةٍ عَـاشَت بِلَحمِهِـمُ فِيهَـا الضَّـوارِي مِـن السِّـبَاعِ وَالـرُّخَم

139. فَـــلاَ يَخَافُـــونَ فِي سَبِيـــلِ رَبِّـــهِمُ ملامَـــةً مِـــن لَئِـــيمٍ مِـــن ذَوِي الـــرَّحِم

140. لاَ يَفْخَـــرُونَ بِمَـــالٍ لاَ وَلاَ نَسَـــبٍ بَـل يَفخَـرُونَ بِتَقـوَى الله ذِي الـنِّعَم

141. جُفُـونُهُم قَـد تَجَافَـت عَـن مَضَـاجِعِهِم[2] فِي طَاعَـــةِ الله ذِي الجَـــلاَلِ وَالكَـــرَم

142. مِنـــهُم عَلَـــيهِم لَهُـــم سِـــيَمٌ تُمَيِّـــزُهُم تَمِيـــزَ وَردٍ وَصَـــندَلٍ مِـــنَ السَّـــلَم

143. فَلَـم يَزَالُـوا بِعَـينِ اللهِ حِـينَ مَضَـوا مُقَـــدَّسِين مِـــنَ الآثَـــامِ وَاللَّمَـــم

144. وَذَاكَ مِـن طَلعَـةِ المختَـارِ مِـن مُضَـرٍ مُحَمَّـدٍ قَـد أَتَـى بِالـذِّكرِ وَالحِكَـم

145. يَـا نَفـسِ لاَ تَقنَطِـي وَجَـدِّدِي عَمَـلاً وَلاَزِمِـــــي تَـــــوبَةً لله وَالتَـــــزِم

146. وَبَـــادِرِي وَاقْبِلِـــي لله وَاعتَصِـــمِي وَاسـتَغفِرِي الله مِـن ذَنـبٍ وَمِـن جُـرَم

147. وَلِي عُيـوبٌ بِثَـوبِ العَفـوِ قَـد سُـتِرَت فَلَـو بَـدَت كُنـتُ مَـذمُومًا بِكُـلِّ فَـم

148. فَلَـيسَ لِي مَلجَـأٌ أَرجُـو النَّجَـاةَ بِـهِ سِـوَى رَجَـاءِي لِعفـوِ الله ذِي الـنِّعَم

149. فَعَفـــو رَبِّي إِلَى ذَنـــبِي أَجَـــلُّ وَإِن كَانَـــت ذُنُـــوبِي فِي نِهَايَـــةِ العِظَـــم

150. إِن لَم تَكُـن يَـا إِللهِـيَ آخـذًا بِيَـدِي فَضـلاً ضَـللتُ عَـن السُّـبلِ وَاللُّقَـم

151. فَاصـفَح إِللهِـي عَمَّـا أنـتَ تَعلَمُـهُ مِـنِّي وَجـاوِز فَمَـا سِـرِّي بِمُكتَـتِم

152. بِفَضـل مَـن ثَبَـتَ المِجـدُ الأَصِـيلُ لَـهُ مُحَـــمَّدٌ صَـــاحِبُ المِنـــبَرِ وَالعَلَـــم

153. لَـــه التَّـــقدُّمُ قَبـــلَ الكَـــونِ ثُمَّ لَـــهُ عَـدلٌ يُؤَلِّـفُ بَـينَ الـذِّيبِ وَالغـنَم

---

[1] – العَنَمُ: شجر أحمر الأغصان ليِّنُها.

[2] – اقتباس من قوله تعالى في سورة السُّجدة، وتمام الآية. [تتجافى جُنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفًا وطمعًا، وممّا رزقناهم يُنفقون] [السجدة 16].

154. لَـهُ الشَّـفَاعَةُ وَالكَـوثَرُ[1] خُـصَّ لَـهُ يَـــومَ القِيَامَـــةِ وَالحَســـرَةِ وَالنَّـــدَم

155. كَفَـى بِـهِ رِفعَـةً كَفَـى بِـهِ شَـرَفًا مَـا قَالَـهُ رَبُّنَـا فِي النُّـونِ وَالقَلَـم

156. كَفَـى اعتِرَافًـا بِحَـالِي أَنَّـنِي عَجِـزٌ عَـن مَدحِـهِ وَمُقَصِّـرٌ عَـن الخِـدَمِ

157. مِـنِّي صَـلاَةٌ عَلَـى المختَـارِ مِـن مُضَـرٍ خَـيرِ البَرِيَّـةِ مِـن عُـربٍ وَمِـن عَجَـم

158. يَـا رَبِّ صَـلِّ وسَـلِّم دَائِمًـا أَبَـدَا عَلَـى النَّـبِيءِ نَـبِيءِ الخَـيرِ وَالكَـرَم

159. وَضَـاعِفَنَّ صَـلاَةً مِنـكَ طَيِّبَـةً عَلَـى النَّـبِيءِ خِتَـامُ الرُّسْـلِ وَالأُمَـم[2]

160. فَاخْصُـصْ بِأَسنَى سَـلاَمٍ طَيِّـبٍ عَطِـرٍ رَسُـولَكَ المجتَـبَى يَـا خَـالِقَ النِّـسَم

161. مُحَمَّـــدٌ صَلَـــوَاتُ اللهِ دَائِمَـــةٌ عَلَيـهِ مَـا لاَحَ بَـرقٌ فِي دُجَـى الظُّلَـم

162. وَالصَّـحبِ وَالآلِ وَأَهـلَ البَيـتِ وَالخَـدَمِ وَكُـلَّ بَـارٍّ تَقِـيٍّ وَافِيَ الـذِّمَم

163. مَـا لاَحَ بَـدرٌ وَمَـا غَـنَّت مُطَوَّقَـةٌ وَحَـنَّ صَـبٌّ إِلَى الطَّـوَافِ بـالحَرَم

164. وَسَـحَّ ودقٌ غَزِيـرٌ سَـاجِمٌ بِصَـفًى وَهَـزَّ رِيـحُ الصَّـبا زَهـرَةَ الأَكَـم

165. وَرَنَّ قَلـبِي بِمَـا قَـد قُـلتُهُ وَبِمَّـا إِنِّي رَأَيـتُ خَيَـالَ البَيـتِ ذِي الحُـرَم

كَمُلت بِفَضلِ الله سُبحانَهُ وعونِهِ، وفيها مائةٌ وخَمسَةٌ وستُّون بيتًا، في أواسط المحرَّم من سنة 1196 بعد هجرة سيِّدنا ومولانا محمد المعظَّم المكرَّم، وقد اشتملت على نُكتٍ وأنواعٍ من البِدِيعِ، ليث من كشَفَ القِناعَ عن وَجهِهَا، لا سِيَمَا ما فيها من التِّسعَةِ والتِّسعِينَ اسمًا لِمولانا جَلَّ وعَلاَ، إمَّا تصريحًا أو تلويحًا[3].

المصدر:

ديوان ابن بحمان، الشيخ إبراهيم بن بحمان الثميني، تح: يحيى بن بهون حاج امحمد، نشر دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007.

[1] – إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكوثر وتمام الآية. [إنّا أعطيناك الكوثر] الكوثر:1.

[2] – في القصيدة اقتباسات كثيرة مختلفة من بردة البوصيري، ولعله يكفي شرفًا كونه أوّل من نظم من مشايخ الإباضية بالمغرب الإسلامي في هذا الباب _على ما أعلم ووصل إليه وإليَّ_، إلاّ أن كثرة الكسور العروضية أثّرت كثيرا على مستواه الشعري.

[3] – تجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ ابن بحمان قد تصدى لشرح هذه البردة البديعة، بعد عودته من أداء مناسك الحج، وذلك بعد إلحاحٍ شديد من الطلبة (إرْوَانْ) وهم درجة دون حلقة العزّابة، وقد سمّاه "الجواهر الثمينيَّة على المنظومة الميمية" منها نسخة مخطوطة بمكتبة الاستقامة ببني يسجن، ولعلي أوفّق لدراستها _إن شاء الله تعالى_.

فهرس الموضوعات:

- **المقدمة .....(أ- ب)**
- **مدخل.....(ج- ط)**
- **الفصل الأول:**

أولاً: أ)- نبذة عن الشعر الجزائري القديم.....(14-15)

ب)- أغراض الشعر الجزائري القديم.....(16)

1. الهجاء.....(16)

2. الغزل.....(16-18)

3. الرثاء.....(18)

4. الوصف.....(18-19)

5. المدح.....(19-20)

6. الزهد.....(20-21)

7. التصوف.....(21-22)

8. المديح.....(22-23)

ثانياً: أ)- المولديات.....(24-26)

ب)- المديح النبوي في الشعر الجزائري القديم.....(26-27)

ج)- سيرة الشاعر ابراهيم بن بحمان.....(28-29)

خلاصة الفصل.....(29)

1. الفصل الثاني: الدراسة الفنية الجمالية

أ)- مضمون قصيدة البردة.....(30-37)

ب)- الخصائص الفنية.....(37-48)

2. التناص بين بردة البوصيري و بردة ابراهيم بن بحمان.....(49-56)

خاتمة.....(57-58)

الملخص.....(59)

قائمة المصادر و المراجع.....(60-61)

الملحق.....(62-70)

فهرس الموضوعات.....(71)